هيئة كتابة التأريخ

سلسلة الموسوعة
التاريخية الميسرة

موقف اليهود
من العروبة والاسلام
في عصر الرسالة

د. هاشم يحيى الملاح



هيئة كتابة التأريخ

سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة

موقف اليهود من العروبة والاسلام في عصر الرسالة

د. هاشم يحيى الملاح

الطبعة الاولى ـ لسنة ١٩٨٨

اهـــداء

الى الذين تحولت الحجارة في ايديهم الى قوة تهزا باسلحة جيش الاحتلال الصهيوني .. اولئك المؤمنين بعدالة قضيتهم ، ابطال ثورة الحجارة في فلسطين المحتلة ، من الاطفال والنساء والشيوخ ، اهدي صفحات هذا الكتاب .

المؤلـــف

د . هاشم يحيى الملاح

في ١ / ٣ / ١٩٨٨

محتويات الكتاب

تمهيـد :

اتسمت حياة اليهود في مختلف العصـور ، وفي جميع المواطن التي عاشوا فيها بقدر كبير من العزلة النفسية ومحاولة عدم الاندماج مع أبناء الأمم الأخرى ، ولم يكن مرد هذه العزلة الى تعصب او تحامل ابناء هذه الامم ضد اليهود ، وإنما كان مرده الى التعاليم الدينية اليهودية تجاه الأمم الأخـرى التي تنطلق من قاعدة منصوص عليها في التوراة تقول : « لا تقلدوا عادات الأمم »[1] .

ان تطبيق هذه القاعدة التوراتية ،كان يتطلب من اليهود عدم التفاعل مع الاقوام التي يعيشون معها كي يحافظوا على عاداتهم وتقاليدهم الخاصة ، وبذلك فقد أقاموا سورا يحاول ان يفصل بينهم وبين هذه الاقوام .

وقد عملت نصوص التوراة والتعاليم الدينية الاخرى على جعل اليهود يعتقدون بأنهم شعب الله المختار ومن ثم فهم شعب مقدس ، يتميز عن غيره من الشعوب ليس من الناحية الدينية فقط ، وانما من الناحية العنصرية ايضا .جاء في سفر اللاويين

(٤٠ / ٢٤ ـ ٢٦) : « انـا الرب إلهكم الذي ميـزكم عن الشعوب ، وتكونوا لي قديسـين لأني قدوس انـا الرب ، وقد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لي » .

ان شعور اليهود بأنهم شعب مقدس ، قد عمق لديهم روح العزلة والانفصال عن الشعوب الاخرى التي لا تتمتـع ـ من وجهة نظرهم ـ بالقداسـة ، وجعلهم يتعالون عليهـا ، وينظرون اليها نظرة تكبر واستخفاف .

وقد كرست القوانين الدينية اليهودية عزلة اليهـود عن غيرهم ، فهم « لا يأكلون مع الاغيار ، ولا يصلون معهم ، ولا يتزوجون منهم ولا يدفنون معهم »[٢] ، وبـذلك تصبح عـزلة اليهود عن الاقوام الذين يعيشون بينهم على وفق هذه القوانين عزلة شبه مطلقة منذ الولادة وحتى الممات .

وقد عززت عقيدة « الماشيح المنتظر » اي المسيح المنتظر روح العـزلة لدى اليهود ، لانهـا جعلت اليهـودي ينـظر الى الأوطان التي يقيم فيها بوصفها منفى او مكاناً مؤقتاً « يحفظ الله فيه الأمة وروحها الى أن يحين الوقت الذي يشاء فيه ـ عز وجل ـ ان يعيد شعبـه الى أرضه وحـريته »[٣] . ان اليهـود يتطلعون على وفق هذه العقيدة الى ان يأتي « المـاشيح وهـو ـ عندهم ـ ملك من نسل داؤود ، في نهاية التاريخ (اوسبت التاريخ) ليجمع شتات اليهود المنفيين ، ويعود بهم الى الارض المقدسة ، ويحطم أعداء اسرائيل ، ويتخذ اورشليم عاصمة له ، ويعيد بناء الهيكل »[٤] .

وهكذا ؛ فقد عملت هذه التعاليم الدينية ، التي تكونت في ظل ظروف تاريخية محددة على غرس روح العزلة والاغتراب لدى اليهود ، ومنعتهم من منح الولاء المخلص للاوطان التي

يقيمون على أرضها ، والأمم التي يعيشون بين أفرادها ؛ بل ان هذه التعاليم قد جعلت اليهود يعدون غير اليهود أيا كانت هويتهم « أجانب » يجوز لهم ظلمهم واستغلالهم وتسخيرهم بالقوة لخدمة اليهود .

فقد جاء في التوراة ، « في سفر اشعيا : ٦١ / ٥ ـ ٦ : (ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم ، أما أنتم فتدعون كهنة الرب ، تسمون خدام إلاهنا ، تأكلون ثروة الامم وعلى مجدهم تتآمرون) ، وجاء في سفر ميخا (٤ / ١٢) : (قومي ودوسي يا بنت صهيون لاني أجعل قرنك حديداً وأظلافك أجعلها نحاساً فتسحقين شعوباً كثيرين) »[٥] .

لقد ترتب على هذه الروح الانعزالية ـ العدوانية التي غرستها التعاليم الدينية ، آنفة الذكر ، في نفوس اليهود أن ساءت علاقتهم بأبناء الأمم الاخرى ، مما أفسح المجال أمام غلبة روح الخصومة والصراع بين اليهود وبين معظم الامم التي جاورها اليهود او عاشوا بين ظهرانيها .

في ضوء هذا الوصف العام لاوضاع اليهود وموقفهم من الأمم التي عاشوا فيها ، يصبح من الضروري أن نحاول دراسة اوضاع اليهود في الجزيرة العربية في عصر الرسالة على أمل التعرف بصورة واضحة الى موقفهم من العروبة والاسلام ، وسنمهد لهذه الدراسة بنبذة عن التجمعات اليهودية في جزيرة العرب عند ظهور الاسلام ، والمناطق التي كانوا يقيمون فيها ، واسباب وجودهم فيها .

اليهود في جزيرة العرب في عصر الرسالة :

حينما ظهر الاسلام ، كانت تعيش في جزيرة العرب عدة قبائل يهودية في كل من المدينة المنورة « يثرب » ، وخيبر ، وفدك ، وتيماء ، ووادي القرى ، وكانت اكبر هذه التجمعات تقيم في المدينة وخيبر ، أما بقية المناطق التي كان يقيم فيها اليهود فكانت أقرب ما تكون الى القرى الصغيرة منها الى المدن .

وكان اليهود في مدينة يثرب يتألفون من ثلاث قبائل هي بنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو قينقاع ، وكانت حرفة بني النضير وبني قريظة هي الزراعة لانهم كانوا يقيمون على اراض خصبة ، ذات تربة بركانية ، تتوفر فيها المياه المساعدة على زراعة النخيل والخضراوات وبعض أنواع الحبوب ، اما بنو قينقاع فكانوا يحترفون بعض المهن كالحدادة والصياغة ويمارسون المبادلات التجارية في السوق التي كانت تحمل اسمهم « سوق بني قينقاع »[٦] .

ان اشتغال معظم يهود المدينة في الزراعة ، وانقسامهم الى كتل قبلية ، لم يساعدهم على السكن في مساكن متلاصقة ، وأحياء متجاورة ، بل جعلهم يعيشون على شكل مجاميع قبلية متباعدة عن بعضها ، وبذلك لم ينجحوا في تكوين كتلة سكانية متماسكة ، تعيش في مدينة مترابطة الاجزاء ، بل كانوا قبائل وعشائر متناثرة في قرى متباعدة عن بعضها .

وقد لجأ اليهود الى بناء قلاع لحماية مستوطناتهم في أوقات المنازعات والحروب ، وكانت هذه القلاع تدعى « آطام » ومفردها « أطم »[٧] ، وقد أشار القرآن الكريم في معرض نقده لليهود وبيان ضعفهم وجبنهم في مواجهة المسلمين في الحرب الى

هذه الحصون بقوله : « لا يقاتلونكم الا من وراء جدر .. »[8] ، « هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله .. »[9] .

ولم يكن عدد اليهود في المدينة كبيراً بحسب مقاييسنا المعاصرة ، اذ توحي الأرقام التي وردت عن اعداد رجالهم المقاتلين أثناء صراعهم مع الرسول (ص) ، ان عدد الرجال المقاتلين لكل قبيلة من قبائلهم الثلاث لم يكن يتجاوز بضع مئات من الرجال ، فقد اوردت المصادر التاريخية ان مقاتلي قبيلة بني قينقاع كان بحدود سبعمائة شخص[10] ، وكان عدد مقاتلي بني النضير بحدود اربعمائة وخمسين شخصاً[11] ، اما بنو قريظة فكان عدد رجالهم يتراوح بين ستمائة وسبعمائة شخص[12] ، وبذلك نلاحظ ان مجموع رجال القبائل اليهودية الثلاث في المدينة لم يكن يتجاوز في عصر الرسالة الالفي رجل ، مما يدل على ان عددهم كان محدوداً لو اجتمعوا ، بينما تشير الاخبار التاريخية الى انهم كانوا مختلفين ومتفرقين بسبب اختلاف طرق معيشتهم وتضارب مصالحهم .

ولم تكن المعيشة في مدينة يثرب مقصورة على القبائل اليهودية وحدها ، بل كانت تعيش الى جوارهم قبيلتان عربيتان من اليمن ، هما قبيلة الأوس وقبيلة الخزرج .

وتشير المصادر التأريخية الى ان سبب هجرة هاتين القبيلتين الى يثرب يرجع الى انهدام سد مأرب وما ترتب عليه من آثار في حدود سنة (٤٤٧ ـ ٤٥٠ م) ، وبذلك يكون سكن الاوس والخزرج في يثرب أحدث عهدا من سكن القبائل اليهودية التي يرجح انها كانت قد استقرت في هذه المنطقة في

أواخر القرن الاول للميلاد[١٣] .

وكان من الطبيعي ان يكون مركز الاوس والخزرج في البداية ضعيفاً بالنسبة لليهود لأنهم كانوا قد حازوا على معظم الاراضي الزراعية الخصبة في المدينة منذ مدة طويلة ، وقد تقبل الاوس والخزرج هذا الواقع في البداية فأصبحوا حلفاء وموالي لليهود ، واخذوا يعملون عندهم ، الا ان هذا الوضع لم يستمر طويلا ، اذ لم يكد القرن السادس يصل الى منتصفه حتى كان الاوس والخزرج هم المسيطرون على يثرب وتحولت القبائل اليهودية الى موالي للقبائل العربية ، وقد كان ذلك راجعاً الى ثلاثة اسباب ؛ أولها : كثرة عدد الاوس والخزرج النسبية ، وثانيها : تعاطف القبائل العربية المجاورة ليثرب مع اخوانهم العرب أكثر من اليهود ، وثالثها : مخاصمة البيزنطيين وحلفائهم من الغساسنة في الشام لليهود ومساعدة القبائل العربية المنافسة لهم بصورة او بأخرى[١٤] .

أما خيبر ، وهي واحة تقع على الطريق ما بين المدينة والشام على مسافة مائة ميل من المدينة ، خصبة التربة وتكثر فيها مياه العيون ، لذا فقد وصفها المؤرخون العرب بأنها « ولاية كثيرة الخصب ، غنية بنخيلها وحقول قمحها الوافر الغلة »[١٥] .

ويبدو ان معظم سكان خيبر ، ان لم يكن جميعهم ، كانوا من اليهود ، ولم تصل الينا معلومات واضحة عن تركيبهم القبلي ، وهل كانوا ينتمون الى قبيلة واحدة ام عدة قبائل ، ولكن يستنتج من دراسة علاقتهم بيهود المدينة انه كانت تربطهم علاقات وثيقة بقبيلة بني النضير لذا فقد لجأت هذه القبيلة الى خيبر بعد ان أجلاها الرسول (ص) عن المدينة ، واخذ

زعماؤها يلعبون دوراً قيادياً في سياسة مدينـة خيبر ودفعهـا بـاتجـاه محـاربـة الرسـول (ص) كمـا حصـل في غـزوة الخندق[١٦] .

وكان يهود خيبر يعيشون بصورة أساسية على الزراعة ، بسبب خصوبة أراضي خيبر وكثرة مياهها ، لذا فقـد وصفت خيبر بـ « ريف الحجاز » ، وكانت اهم مزروعـاتها النخيـل والحبوب وبعض الخضار .. كما اشتغل يهـود خيبر بتـربية بعض أنواع الحيوانات كالماشية والدجاج وغيرها[١٧] .

وقد فرضت طبيعة الحياة الزراعية على يهود خيبر ان يسكنوا على شكل جماعـات متفرقـة قرب العيـون ، وجداول المياه ، مما جعل خيبر أقرب ما تكون الى مجموعة قرى متناثرة في أودية خيبر المجتمعة على « هيئة جريدة النخل » .

وقد عمدت كل مجموعة من يهود خيبر الى بناء حصن خاص بها لتحتمي به في أوقات الحروب ، لذا فقد ذكر المؤرخون انه كان في خيبـر سبعة حصـون رئيسة ، هي حصن نعيم ، وحصن أبي الحقيق ، وحـصن الشـق ، وحصـن النـطاة ، وحصن السلالم ، وحصن الوطيح ، وحصن الكتيبة[١٨] .

وقد يدل تعدد الحصون في خيبر على انقسام أهل خيبر على سبعة كتل متفرقة بحيث لجأت كل كتلة الى بناء حصن خاص بها للدفاع عن نفسها كما فعلت القبائل اليهودية في يثرب .

ولم تقدم لنا المصادر التأريخية معلومات محددة عن عدد سكان او مقاتلي خيبر ، غير ان الواقدي ينفرد بالاشارة الى ان عدد مقاتليهم كان بحدود العشرة آلاف ، حينما توجه الرسول (ص) لمحاربتهم في السنة السابعة للهجرة[١٩] ، غير ان مقارنة هذا العدد بعدد جيش الرسول (ص) الذي تغلب عليهم وهم

متحصنون في قلاعهم والذي كان بحدود الف وأربعمائة مقاتل توصلنا الى ان الرقم الذي أورده الواقدي مبالغ فيه كثيراً ،لذا يجوز لنا أن نفترض أن عددهم كان مقارباً لعدد جيش الرسول (ص) اي بحدود الف وأربعمائة رجل على أكبر تقدير .

وان مما يعزز هذا الاستنتاج أن يهود خيبر قد تحالفوا مع قبيلة غطفان البدوية لمساعدتهم في الدفاع عن خيبر في حربها مع الرسول (ص) لقاء تقديم نصف محصول مزارعهم من التمر لذلك العام الى قبيلة غطفان[٢٠] ، مما يشير الى احساس يهود خيبر بالضعف تجاه قوة الرسول (ص) ، ومثل هذا الشعور لم يكن ليظهر لديهم لو كانت قوتهم الحربية توازي سبعة اضعاف قوة المسلمين الحربية .

ان ما تقدم ، يشير الى ان عدد اليهود وقوتهم في كل من يثرب وخيبر كان محدودا ، على الرغم من ان هاتين المدينتين تعدان من اكبر المناطق التي يوجد فيها اليهود في بلاد العرب ، اما بقية المناطق التي سكن فيها اليهود مثل فدك ، وتيماء ، ووادي القرى ، فكانت واحات صغيرة ، تقطنها مجاميع يهودية محدودة العدد الى جانب بعض السكان العرب .. لذا لم تصل الينا معلومات واضحة عن أعدادهم ، وطرق معيشتهم ، وأوضاعهم السياسية والثقافية ، ولكن يظهر من الاشارات التي أوردتها بعض المصادر التاريخية ان حالتهم لم تكن تختلف كثيراً عن يهود يثرب وخيبر ، اذ كان معظمهم يشتغلون بالزراعة ، ويرتبطون بعلاقات تحالف مع القبائل العربية المجاورة لهم لتأمين الحماية لأنفسهم في مواجهة المخاطر[٢١] .

أصل يهود الجزيرة العربية :

ان عيش اليهود بين العرب لمدة طويلة ، وتكلمهم بلغتهم ، واكتساب الكثير من عاداتهم وتقاليدهم في الحياة والعمل ، جعل بعض المؤرخين يرون ان يهود الجزيرة العربية هم من أصول عربية أي انهم عرب تهودوا ، فقد ذكر اليعقوبي ان يهود بني قريظة ، وبني النضير قد انحدروا من قبيلة جذام العربية ، وبعد تهودهم سموا باسم المكان الذي نزلوا فيه[٢٢] .

ويميل بعض المستشرقين الى قبول هذا الرأي مثل توري الذي اشار الى ان بني اسرائيل الذين كان يخاطبهم الرسول (ص) كانوا « بصورة رئيسة من قبائل عربية أصلية تحولت الى يهودية سطحية »[٢٣] .

ويقف مستشرقون آخرون مترددين بين هذا الرأي والرأي الذي يرى انهم من اصل عبري ، فقد ذكر مونتغمري وات انه لا يستطيع القول بثقة فيما اذا كان يهود بني قريظة وبني النضير « من الفرع العبري ، ام انهما من العرب المتهودين »[٢٤] ، ونلاحظ الرأي المتردد نفسه تجاه أصل هؤلاء اليهود لدى كل من اوليري ومارجليوث[٢٥] .

ويبدو ان الذي حمل هؤلاء المستشرقين على التردد وعدم الجزم بأن أصل يهود الجزيرة العربية « عربي » هو عدم توفر أدلة تأريخية كافية لدعم هذا الرأي ، بل ان معظم النصوص التأريخية ، والقرائن المنطقية تؤكد ان هؤلاء اليهود ليسوا عربا وانهم قد جاءوا الى جزيرة العرب مهاجرين من فلسطين بعد تعرضهم للاضطهاد من قبل الرومان في حدود سنة ٧٠ للميلاد ، وسنعرض فيما يأتي لأهم الأدلة التي تدعم هذا الرأي :

١ ـ يجمع الاخباريون العرب على ان يهود الحجاز قد جاءوا الى جزيرة العرب مهاجرين وأنهم من أصل عبـراني ، ولكن آرائهم تتضارب في تحديـد زمن هذه الهجـرة ، فمنهم من يرجعها الى أيـام موسى (ع) ، ومنهم من يردها الى أيام داؤود ، ومنهم من يرى انها ترجع الى زمن نبوخذ نصر ، وفيهم من يرى ان هجرة اليهود قد تمت على اثر اضطهاد الرومان لهم[٣٦] .

٢ ـ ذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذي كان قائداً لاحدى الوحدات اليهودية أثناء حرب اليهود مع الرومان التي انتهت بانتصار الرومان وإجلاء اليهود عن فلسطين سنة ٧٠ م : ان جموعاً من اليهود قد هاجرت في ذلك الوقت الى جزيرة العرب ، ومن المرجـح ان هذه الجمـوع قد استقرت في الواحات الخصيبة التي تقع عـلى الطريق التجاري الذي يربـط الجزيـرة العربيـة ببلاد الشـام « يثرب ، خيبر ، تيماء ، فدك ، وادي القرى » ، وبذلك يكون يهود بني قريظة والنضير وقينقاع وخيبر وغيرهم ، الذين عاشوا في عصر الرسالة في هذه المنـاطق هم من أحفاد اولئك المهاجرين[٣٧] .

٣ ـ ذكر الاصفهاني انه لم يجد ليهود بني قريظة والنضير وقينقاع نسباً يذكره لأنهم ليسوا من العرب ، فتـدون العرب أنسابهم ، انما هم حلفاؤهم[٣٨] .

٤ ـ ان الآيات القرآنية التي كانت تتحدث عن اليهود في عصر الرسالة ، وتنتقد مواقفهم من الدعوة الاسلامية كانت تتعامل معهم بـوصفهم من « بني اسرائيـل » اي من سلالة يعقوب الذي ينتسب اليه العبرانيون .

وقد عقد القرآن الكريم العديد من المقارنات بين اخلاق اليهود في عصر الرسالة وبين اخلاقهم في عهد موسى وعيسى وغيرهم من الانبياء مما يدل على ان القرآن الكريم كان يرى ان يهود الجزيرة العربية في عصر الرسالة كانوا من احفاد اليهود الذين عاصروا الانبياء السابقين[٢٩] .

٥ - ان اليهود كانوا يتعالون على العرب ويصفونهم بـ « الاميين » وهي صفة كان يطلقها اليهود على الغرباء « تمييزاً لهم عن العبرانيين الذين يذهبون الى انهم امة مقدسة ، مفضلة على العالمين »[٣٠] .

٦ - كان يهود المدينة اذا وقعت بينهم وبين العرب منازعة يتهددونهم بقرب ظهور نبي يتبعونه فيقتلونهم « قتل عاد وإرم »[٣١] . مما يدل على ان هؤلاء اليهود كانوا يتطلعون على وفق عقيدتهم الى مجيء « المسيح المنتظر » ليوحدهم ويعيدإليهم أمجادهم السالفة .

ان مما تقدم ، يدل على ان يهود الجزيرة العربية ، لم يكونوا من سكان الجزيرة العربية الأصلاء وإنما جاءوا إليها مهاجرين . ولا ينقص هذا الرأي ملاحظة ان هؤلاء اليهود كانوا يتكلمون اللغة العربية ولديهم بعض العادات والتقاليد العربية لان هذه الصفات يمكن اكتسابها عن طريق الاختلاط ، والاقامة الطويلة في البيئة العربية . وان مما لا شك فيه ان يهود الحجاز قد امتدت اقامتهم بين العرب مدة طويلة ، تقدر بحوالي خمسة قرون - على الاقل - . وهي مدة كافية لاندماجهم وتعربهم لو لم يكونوا مصرين على عزلتهم ، ومتعالين على من حولهم كما اوضحنا آنفاً .

ان هذا الرأي لا يمنع من قبول الروايات التي تقول بأنه كان بين اليهود بعض الافراد من ذوي الاصل العربي مثل كعب ابن الاشرف وغيره ، قد تهودوا لسبب او لآخر[٣٢] . لان هذه حالات خاصة ، وهي تبقى محدودة التأثير ، ولا تغير من حقيقة ان الاغلبية العظمى من اليهود كانت غريبة عن العرب ، وهي تتمسك بهذه الغربة وترفض « التعرب » . بل إننا قد لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا ان هؤلاء العرب الذين تهودوا كانوا قد تخلوا عن ولائهم لقبائلهم العربية واتجهوا الى منح ولائهم للقبائل اليهودية التي عاشوا بينها . واوضح دليل على ما نقول حالة كعب بن الاشرف ، اذ تشير الاخبار الى ان والده وهو من بني نبهان « قبيلة طيء » كان قد سكن في المدينة وتحالف مع بني النضير « فشرف فيهم ، وتزوج بنت ابي الحقيق ، فولدت له كعباً .. »[٣٣] . فكعب بن الاشرف إذاً ذو أصل مختلط « يهودي - عربي » وهو قد تربى على يد امه اليهودية وعاش حياته هو وأبوه بوصفهما حلفاء لليهود .. وبذلك لم يبق له من العروبة غير اللسان ، وقد استخدمه كعب لخدمة اليهود والدفاع عنهم كما سنوضح ذلك لاحقا .

وقد ذكر الدكتور جواد علي انه قد ورد في التلمود « ان نفراً من العرب دخلوا اليهودية وانهم جاءوا الى الاحبار فتهودوا امامهم » وقد استنتج من ذلك ان « هذه المرويات التلمودية تأييد لروايات اهل الاخبار التي تذكر ان اليهودية كانت في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكنده وغسان . وذكر (اليعقوبي) ان ممن تهود من العرب اليمن بأسرها »* .

---

* المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ١٩٧٠ ، ج ٦ ص ٥١٤ ، ص ٥٤١ .

غير انه لا بد من ملاحظة عدم التوافق بين مدلول النص التلمودي الذي استشهد به الدكتور جواد علي وروايات الاخباريين حيث ان النص التلمودي يشير الى ان عدد الذين تهودوا من العرب كان نفراً والتي تعني عادة افراداً قلائل كما ان الدكتور جواد علي نفسه يقرر ان مركز اليهودية قد اصابه ضعف كبير بعد دخول الاحباش (النصارى) الى اليمن . ولم تصلنا اخبار من مصادر يوثق بها للتعرف الى مدى انتشار اليهودية بين افراد القبائل التي ذكرها الاخباريون . بل ان معظم الاخبار الدقيقة ، التي وصلت الينا تركز حديثها عن اوضاع يهود يثرب وخيبر وتيماء ووادي القرى وموقفهم من الدعوة الاسلامية مما يدل على ان اليهودية كانت متمركزة بين سكان هذه المناطق عند ظهور الاسلام بصورة اساس .

حالة اليهود الثقافية وعلاقاتهم مع العرب : ـ

ان طريقة معيشة اليهود في جزيرة العرب ، توحي بأن المستوى الثقافي لعامتهم لم يكن يختلف كثيراً عن مستوى عامة الناس من العرب . فكانت الامية منتشرة على نطاق واسع وكانت معرفة القراءة والكتابة تكاد تكون محصورة برجال الدين منهم « الاحبار » . وقد اشار القرآن الكريم الى ان معرفة بعض هؤلاء الاحبار بأمور الدين كانت معرفة ظنية مضطربة تقوم على « الاماني » بدلاً من العلم والتحقيق[٣٤] ..

لذا فقد وصف القرآن الكريم هؤلاء الاحبار بأنهم أميون : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وإن هم الا يظنون »[٣٥] . كما اوضح ان هؤلاء يتخذون من الدين وسيلة للارتزاق ، ومن ثم فهم لا يتورعون عن الكذب والتزوير

ومخالفة اوامر الدين من أجل تحقيق مصالحهم : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً »[٣٦] . وقد اوردت كتب السيرة النبوية أسماء عدد من أحبار يهود مدينة يثرب . فقدم لنا ابن اسحاق قائمة بأسماء سبعة وستين حبراً يتوزعون على مختلف العشائر اليهودية التي كانت تعيش في المدينة[٣٧] . ويبدو ان معظم هؤلاء الاشخاص كانوا من الادعياء الذين كانت معرفتهم بأمور الدين محدودة ، فكانوا يستغلون الدين لتحقيق مآربهم الخاصة وفرض زعامتهم على قومهم[٣٨] . والا ، فإنه ليس من المعقول ان تضم قبيلة بني قينقاع التي يقدر عدد رجالها بحدود ٧٠٠ شخص ثلاثين حبراً[٣٩] . من المتضلعين بأمور الشريعة والدين .

ويظهر من بعض الروايات التي اوردتها مصادرنا التاريخية ، انه كان ليهود المدينة مركز للعبادة يجتمعون فيه ، لأداء عباداتهم ، ودراسة امور دينهم ، فضلاً عن التداول بأمورهم العامة وحسم المنازعات التي تنشأ بينهم . وكان هذا المركز يدعى « بيت المدراس » . فقد اورد ابن اسحاق ان ابا بكر الصديق (رض) دخل « بيت المدراس على يهود ، فوجد منهم ناساً كثيراً قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له رفخاص ، وكان من علمائهم وأحبارهم .. » فدعاه الى الاسلام فأبى ، وتهجم على الاسلام بطريقة اغضبت ابا بكر وحملته على ضربه[٤٠] .. كما اورد ابن اسحاق رواية اخرى عن اجتماع اليهود في « بيت المدراس » لمحاكمة رجل قد زنى بامرأة بعد إحصانه[٤١] .

ولو حاولنا استعراض الآيات القرآنية كافة التي تحدثت

عن اليهود من حيث نقضهم للعهود وتحريفهم للكلام عن مواضعه واكلهم اموال الناس بالباطل ، وتعاملهم بالربا ، وعدم تطبيقهم حتى تعاليم التوراة في تعاملهم مع بعضهم لطال بنا الحديث ، وخرج بنا عن نطاق هذا البحث[٤٢] .

وقد ذكر ان احبار اليهود كانوا يقرأون التوراة باللغة العبرية ويفسرونها لعامة الناس باللغة العربية مما يدل على عدم معرفة عامة اليهود في الجزيرة العربية للغة العبرية . وقد أشير الى ان اللغة التي يستعملها هؤلاء اليهود في أحاديثهم لم تكن عربية خالصة ، بل كانت عربية مشوبة بالرطانة العبرية[٤٣] .

ان ما تقدم ، يؤكد ضعف صلة اليهود بمصادر ثقافتهم العبرية بسبب طول اقامتهم في شبه الجزيرة العربية التي امتدت لعدة قرون ، مما ترتب عليه فقدان لغتهم الاصلية واكتساب اللغة العربية لحاجتهم الماسة اليها من اجل التفاهم مع اهل البلاد التي اخذوا يعيشون على ارضها .

وقد نتج عن تعلم اليهود اللغة العربية واختلاطهم بالعرب لمدة طويلة ، ان تأثروا بكثير من العادات والتقاليد العربية ، والتي يمكن تحديدها في المجالات الثلاثة الآتية :

١ ـ فقد تأثر اليهود بالنظم والقيم القبلية السائدة بين العرب كالعصبية القبلية ، والثأر ، وأخذ/الدية ، والتحالف ، ومنح الجوار ، وأكرام الضيف .. وقد كان هذا التأثير على درجة كبيرة من العمق ، مما حمل بعض الباحثين على الاعتقاد بأن يهود الجزيرة العربية كانوا ذوي اصول عربية « عرب تهودوا » .

٢ ـ وقد تأثر اليهود بالعادات الاجتماعية العربية نتيجة

الاختلاط الذي وصل في بعض الحالات الى حد المصاهرة بين الأسر العربية واليهودية . وان كان على نطاق ضيق[٤٤] . كما اشارت بعض الاخبار الى ارتباط بعض العرب ببعض اليهود برابطة « الاخوة بالرضاعة » ، فقد ذكر ان « عبدالله بن عتيك كان يرطن باليهودية لانه كان أخاً لابي رافع اليهودي بالرضاعة ، وأمهما التي ارضعتهما كانت تسكن خيبر »[٤٥] .

٣ ـ وكان طبيعياً ، نظراً لما تقدم ، ان يتأثر اليهود ؛ بالقيم الثقافية والادبية عند العرب ، فظهر بينهم مجموعة من الشعراء الذين ينظمون الشعر باللغة العربية ويلتزمون بالقواعد والأساليب نفسها التي يلتزمها شعراء العربية في شعرهم .

وقد لوحظ ان هؤلاء الشعراء ينقسمون من حيث اصولهم على قسمين ؛ فكان القسم الاول منهم شعراء ذوي اصل يهودي مثل الربيع بن أبي الحقيق الذي كانت له مساجلات شعرية مع النابغة الذبياني في سوق بني قينقاع ، وسعية بن غريض ، وشريح بن عمران ، وأبي قيس بن رفاعة ، كما ظهرت بينهم شاعرة تدعى سارة القرظية .

اما القسم الثاني فكانوا شعراء من ذوي أصل عربي . وكان ابرزهم السموأل بن عادياء . فقد ذكر ان امه كانت عربية « غسانية » تزوجت من ابيه عادياء بعد ان اقامت في حصن جده في تيماء . وكان الاخر هو كعب بن الاشرف الذي اوضحنا انه كان ينتسب الى أب عربي من قبيلة طيء وأم يهودية من بني النضير[٤٦] .

ويبدو ان الظروف كانت ملائمة لأندماج اليهود في المجتمع العربي بشكل كامل لولا تعارض ذلك مع تعاليم ديانتهم التي تأمرهم بالعزلة وعدم تقليد الامم الاخرى . لذا انحصر تأثر اليهود بالمجالات التي اشرنا اليها ، ولم يتجاوزها الى امور العقيدة والشريعة . فقد بقي اليهود محافظين على عقائدهم الدينية الاساسية . كما حرص اليهود على مراعاة قواعد الشريعة اليهودية التي تضمنتها التوراة وكتب التلمود .. رغم انه كانت هناك مسافة واسعة بين الممارسة والمثال ، كما تؤكد ذلك آيات القرآن الكريم[٤٧] .. فكان اليهود يحرصون على التميز في صيامهم وصلاتهم وأعيادهم ، وطريقة أكلهم ، وحتى في بعض الامور المتصلة بمظهرهم (تسريح شعورهم ، ولحاهم ، والملابس التي يرتدونها ..) .. كما كان اليهود يحرصون على عدم مصاهرة غيرهم رغم وجود حالات استثنائية أشرنا اليها آنفاً ، وهي بمجملها تشكل خروجاً على تعاليم الديانة اليهودية[٤٨] .

وقد أشار القرآن الكريم وكتب السيرة النبوية الى عدم التزام اليهود بتطبيق العقوبات التي جاءت بها الشريعة اليهودية والتي كانت تقوم على مبدأ التساوي بين الجريمة والعقوبة في القصاص « مبدأ النفس بالنفس ، والسن بالسن ، والعين بالعين »[٤٩] . وغلبوا عليها بعض العقوبات التي كانت شائعة عند العرب « فكانوا يحكمون ببعض قتلاهم بدية ، وبالبعض الاخر بنصف دية ، وفي الاشراف بالقصاص وفي الادنياء بالدية »[٥٠] . كما لم يطبقوا مبدأ اقامة حد الرجم على الزاني المحصن كما أمرت التوراة وفضلوا معاقبته بعقوبة

أخف من ذلك[٥١] .

ومع ذلك ، فقد كان اليهود يشعرون بنوع من التميز والتعالي على جيرانهم العرب ، لانهم كانوا يعتقدون كما أشرنا آنفاً أنهم شعب الله المختار الذين اختصهم بعنايته ورعايته ، وكانوا يتعاملون مع العرب بوصفهم وثنيين وأميين .. ومن ثم ، فقد كانوا يعطون لانفسهم الحق باستغلالهم وغشهم لان ذلك ليس محرماً في عقيدتهم « ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا في الاميين سبيل »[٥٢] . كما كانوا يتهددون العرب كلما اشتبكوا معهم في صراع او نزاع بأنهم يتطلعون الى ظهور المسيح المنتظر ، الذي اقترب موعد ظهوره ، ليقودهم ويقضي بهم على خصومهم[٥٣] .

وهكذا عاش اليهود بين العرب عدة قرون يتكلمون بلغتهم ، ويتعاملون معهم ، ويسيرون على العديد من نظم حياتهم ، ويراعون الكثير من قيمهم ومثلهم في الحياة . ولكنهم مع ذلك لم يندمجوا معهم ، ولم يتخلوا عن عزلتهم النفسية وشعورهم بالتعالي على من حولهم ، حتى ظهر الاسلام ، فكيف كان موقفه منهم ، وموقفهم منه ؟. هذا ما ستتولى ايضاحه الصفحات الآتية من الدراسة .

موقف الاسلام من اليهودية في المرحلة المكية :

نظر الاسلام من الناحية المبدئية الى اليهودية على انها دين سماوي موصىً به من الله تعالى . لذا فقد أكدت الآيات القرآنية على وحدة المبادىء الاساسية التي تقوم عليها كلتا الديانتين ، من حيث الايمان باله واحد ، لا شريك له ،

وبالانبياء الذين ارسلهم الله بدءاً من آدم (ع) ، ونوح وابراهيم ، وموسى وداؤود وسليمان ، وغيرهم[٥٤] ..

وقد حفلت آيات القرآن الكريم في المرحلة المكية ، بقصص الأنبياء السابقين ، وجلهم من انبياء بني اسرائيل ، وأشادت بجهادهم وتضحياتهم من أجل نشر عقيدة التوحيد ، ومقاومة اهل الشرك . وعقدت المقارنات بين جهاد الرسول محمد (ص) في هذا السبيل وجهاد هؤلاء الانبياء ، مؤكدة وحدة الطريق والهدف بينهم جميعا[٥٥] .

وقد أكد القرآن الكريم في العديد من الآيات ان الدعوة الاسلامية لم تأت لتنقض ما جاء به الانبياء السابقون من مبادىء وتعاليم عامة ، بل ان هذه الدعوة قد جاءت مصدقة لما بين يديها من الكتب المنزلة من الله : « ان هذا لفي الصحف الاولى ، صحف ابراهيم ، وموسى »[٥٦] ، « والذي أوحينا اليك من الكتاب مصدقاً لما بين يديه .. »[٥٧] .

وقد أشار القرآن الكريم الى ان التوراة قد بشرت بمجيء النبي محمد (ص) بالرسالة ، وان اهل الكتاب يجدون ذلك مدوناً في كتابهم المقدس (التوراة والانجيل) : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم .. »[٥٨] .

وقد لوحظ ان هذه الآية تشير الى بعض ما جاء في التوراة ، نحو ما ورد في سفر التثنية الاصحاح ١٨ ، فقرة ١٨ : « أقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك ـ اي موسى ـ وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما اوصيه به » .

موقف اليهود من الدعوة الاسلامية في مكة : -

ويبدو ان معظم اليهود كانـوا يعتقدون ان النبي الذي بشرتهم به التوراة هو نبي من بني اسرائيل ، وانه هو المسيح المنتظر بالنسبة لهم . لذا فقد اصروا على عدم الايمان برسالة محمد (ص) واتجهوا نحو مخاصمته والتعاون مع اعدائـه رغم نقاط الاتفاق الكثيرة بين المبادىء التي جاء بها الاسلام والمبادىء التي جاء بها انبياء بني اسرائيل[٥٩] .

ان دراسة الآيات القرآنية التي انزلت في المرحلة المكية ، تشير الى ان مشركي مكة كانوا يستخدمون كثيرا من المعلومات ذات الأصـل اليهودي لمحـاججة الرسـول (ص) ومحـاولة احراجه مما يدل على وجود تعاون بين اليهود ومشركي مكة منذ بداية الدعوة الاسلامية . فقد اورد ابن اسحاق ان مشركي مكة ارسلوا ابن الحارث وعقبة بن ابي معيط الى أحبار يهود المدينة ليسألوهم عن الامور التي يدعو اليها الرسول (ص) بوصفهم اهل كتاب .

وقد ذكر ابن اسحاق ان أحبار اليهود قد نصحوا اهل مكة بأن يسألوا الرسول (ص) ثلاثة اسئلة (من الامور التي وردت اخبارها عندهم في التوراة) فإن جاءت اجابته مطابقة لها فهو نبي ، وان لم تأت كذلك فهو ليس نبياً . وكـانت هذه الاسئلة تدور حول قصة أهل الكهف وعن ذي القرنين ، وعن حقيقة الروح[٦٠] .

ويفهم من آيات القرآن الكـريم التي تشير الى التـوراة والانجيـل وقصص انبياء بني اسـرائيل مـدى عمق واهمية المعاونة التي كان يقدمها اليهود لمشركي مكة ، وذلك لانه لم يكن في مكة جالية يهودية كي يتوجه اليها الخطاب القرآني في

هـذه المرحلة من أجـل محاولة اقنـاعها وكسبهـا الى جـانب الاسلام ، مما يدل على ان هذا الخطاب كـان موجهـاً بشكل اساسي الى مشركي مكة الذين دأبوا على الاستعانة بما يقدمه لهم اليهـود من معلومات من أجـل إحراج الرسـول (ص) والتشكيك بدعوته .

وقد أشار القرآن الكريم الى نجاح الرسول (ص) في هداية أحد اليهود الى الاسلام ، وأنه قد حاول الاستشهاد به لاقناع المشركين بقبول الدعوة : « قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به ، وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله ، فآمن واستكبرتم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين »[٦١] .

ومع ذلك ، فإنه لم تصل الينا معلومات تـاريخية متفق عليها عن شخصية هذا اليهودي الذي أسلم في مكة ، كما لم تصل الينا معلومات محددة عن يهود دخلوا في الاسلام في هذه المرحلة ، وكل ما بين ايدينا هو إشارات في بعض الآيات القرآنية الى معرفة علماء بني اسرائيل لما جاء به القرآن دون ان يصدر عنهم ما يدل على الايمان والتصديق[٦٢] .

اليهود وهجرة الرسول (ص) الى المدينة : ـ

حينما التقى الرسول (ص) عند العقبة بستة اشخاص من اهل المدينة بادرهم بالسؤال : « من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ، قال : من موالي يهود ؟ قـالوا : نعم ، قال : أفـلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى »[٦٣] .

يتضح من هذا الحوار ان الرسول (ص) كـان يعلق أملاً كبيراً على استجابة اهل المدينة لدعوته بحكم مجاورتهم لليهود وتحالفهم معهم ، وذلك لان كثيراً من المفاهيم الدينية

المشتركة بين الاسلام واليهودية كانت مألوفة لديهم بحكم مخالطتهم لليهود واحتكاكهم بهم .

وقد تأكد ما توقعه الرسول (ص) حينما استقبل هؤلاء الافراد دعوته بحماس شديد ، إذ قال بعضهم لبعض : « تعلمون والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم اليه ، فأجابوه فيما دعا اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام . وقالوا له : انا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى ان يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم ، فندعوهم الى امرك ونعرض عليهم الذي اجبناك اليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه ، فلا رجل أعز منك »[٦٤] .

يتضح مما تقدم ، ان هؤلاء النفر ، قد وجدوا في الرسول (ص) الشخص الذي يمكن ان يتوحد حول قيادته عرب المدينة الذين فرقتهم الصراعات القبلية والعشائرية ، ويردوا عن طريقه على تحدي اليهود لهم بقرب ظهور نبي يقودهم لمقاتلة العرب والقضاء عليهم .

لقد لقيت الدعوة الاسلامية استجابة كبيرة بين أهل المدينة من الاوس والخزرج بمجرد وصولها على ايدي هؤلاء النفر ، فسارعوا الى الدخول في الاسلام ، وعملوا على توثيق صلاتهم بالرسول (ص) ، ومبايعته من أجل الهجرة الى مدينتهم[٦٥] .

وتشير المصادر التاريخية الى انه لم يقف من الدعوة الاسلامية موقفاً متحفظاً من اهل المدينة سوى فئتين ، هما :-

١ - بعض زعماء اهل المدينة الذين كانوا يتطلعون الى توحيد

قومهم تحت زعامتهم الشخصية مثل عبدالله بن ابي وابي عامر الراهب وابي قيس بن الاسلت ومن تأثر بهم من ابناء عشائرهم[٦٦] .

٢ ـ اليهود ، الذين كانوا يتطلعون الى ظهور نبي من بينهم ليوحدهم ويقودهم لمقاتلة العرب .

ومن ثم فقد حاول ممثلو المسلمين من اهل المدينة ان يحيطوا خططهم ولقاءاتهم بالرسول (ص) ، بستار من السرية والكتمان ، فقد روي ان مشركي قريش جاءوا الى عبدالله بن ابي يسألونه عن حقيقة اتفاق اهل المدينة مع الرسول (ص) عند العقبة للهجرة الى مدينتهم فنفى عبدالله حصول مثل هذا الاتفاق وقال لهم : « ان هذا الامر جسيم ، ما كان قومي ليتفوتوا علي بمثل هذا وما علمته كان »[٦٧] .

ولم يهمل اهل المدينة احتمال ان تتردى العلاقات بينهم وبين اليهود بعد هجرة الرسول (ص) الى المدينة ، فقال ابو الهيثم بن التيهان عند مبايعة الرسول (ص) بيعة العقبة الثانية : « يا رسول الله ، ان بيننا وبين الرجال ـ يعني اليهود ـ حبالاً ـ اي عهوداً ـ وإنا قاطعوها ، فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ، ان ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله (ص) ثم قال : بل الدم الدم والهدم الهدم ، انا منكم وانتم مني ، احارب من حاربتم واسالم من سالمتم »[٦٨] .

ان ما تقدم يشير الى ان المسلمين من اهل المدينة لم يأخذوا موافقة اليهود على دعوة الرسول (ص) للهجرة الى المدينة ، وربما لم يعلموهم بعزمهم على دعوته وذلك لان ابناء قبيلتي الاوس والخزرج كانوا اكثر عدداً واقوى عدة من

اليهود ، كما أنهم كانوا لا يطمئنون الى اليهود ، ولا يتوقعون منهم موقفاً إيجابيا تجاه مسألة دعوة الرسول (ص) وأصحابه المكيين للهجرة الى المدينة . لذا فقد فضلوا ان يحيطوا هذه الدعوة بالسرية ، ووضعوا جميع سكان المدينة أمام الأمر الواقع .

لقد تقبل مشركو الاوس والخزرج هجرة الرسول (ص) الى المدينة وتعاملوا مع الرسول (ص) بصورة لائقة مراعاة لرأي اغلبية افراد قومهم الذين آمنوا بالدعوة الاسلامية وارتضوا ان يسلموا قيادتهم للرسول (ص) استنادا الى رسالته الدينية .

اما اليهود ، فلم ينقل عنهم موقف واضح في هذا الشأن ، ويبدو انهم قد تقبلوا هجرة الرسول (ص) الى المدينة بالطريقة نفسها التي تقبلها مشركوا المدينة ، وذلك لانهم كانوا حلفاء للاوس والخزرج ، مما يتطلب احترام ارادة حلفائهم ، والتضامن معهم .

الرسول (ص) وتنظيم العلاقات مع اهل المدينة : ـ

حاول الرسول (ص) ان يحل مشكلة التنافس والصراع بين ابناء قبيلتي الاوس والخزرج الناجمة عن العصبية القبلية ، عن طريق تقديم رابطة العقيدة على رابطة النسب فاعتبر جميع المؤمنين اخوة في الدين . ومن ثم فقد اطلق على المؤمنين من اهل المدينة تسمية « الانصار » في الوقت الذي اطلق على اصحابه الذين هاجروا من مكة وغيرها تسمية « المهاجرين » وبذلك تكون مجتمع المؤمنين من مهاجرين وانصار .

ومن أجل تعزيز الروابط وتعميقها بين هاتين الفئتين من المؤمنين فقد آخى بين اصحابه من المهاجرين والانصار ، فقال : « تآخوا في الله أخوين أخوين »[٦٩] ، وذلك ليذهب عن المهاجرين « وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الاهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض »[٧٠] .

ولم يكتف الرسول (ص) بتنظيم العلاقات بين اصحابه من المؤمنين بل عمد الى كتابة « الصحيفة » من أجل تنظيم العلاقات بينهم وبين بقية سكان المدينة من مشركين ويهود[٧١] .

لقد تضمنت هذه الصحيفة جملة من المبادىء الاساسية التي تنظم العلاقات بين مختلف الفئات من سكان المدينة ، وبينهم وبين الرسول (ص) ، حتى لقد عدت بمثابة « دستور للمدينة » نظرا لما اتسمت به احكامها من شمولية وتفصيل في بيان حقوق وواجبات الاطراف الذين شملتهم احكامها بالتنظيم .

وندرج ادناه اهم الاحكام التي تضمنتها الصحيفة وخاصة ما يتصل منها باليهود : ـ

١ ـ نصت الصحيفة على ان « المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، انهم امة واحدة من دون الناس » . وبذلك اكدت الصحيفة على وحدة الامة القائمة على الايمان بالاسلام ، المستعدة لقبول كل من يتبعها ويجاهد معها من الناس في عضويتها .

٢ ـ نصت الصحيفة على ان مختلف العشائر والبطون

اليهودية الموجودة في المدينة تكون « أمة مع المؤمنين » بمعنى انهم جماعة ذات ديانة خاصة بها ترتبط بجماعة المؤمنين برابطة التحالف . وأن من حق هذه الجماعة ان تحافظ على عقيدتها على قدم المساواة مع المسلمين « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته » .

٣ ـ نصت الصحيفة على ان العلاقة بين المسلمين واليهود تقوم على اساس التعاون والتكافل من أجل حفظ النظام في داخل المدينة ومعاقبة الجناة . كما أوجبت الصحيفة على اليهود ان يتعاونوا مع المسلمين في الدفاع عن المدينة ، وأن « يتفقوا مع المؤمنين ما داموا محاربين » .

٤ ـ أوجبت الصحيفة على كل عشيرة او فئة من أهل المدينة ان تحل مشاكل افرادها على وفق قواعد التعاون والتكافل التي كانت قائمة بينهم في الماضي بشرط الا تتعارض مع المبادىء الجديدة التي جاءت بها الصحيفة وخاصة ما يتصل منها بمسألة معاقبة الجناة وعدم مساعدتهم للافلات من العقاب ، لان ذلك قد يثير مسألة اخذ الثأر التي الغتها الصحيفة .

٥ ـ أكدت الصحيفة سلطة الرسول (ص) العليا في حل المنازعات بين اهل المدينة فنصت على انه « ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او شجار يخاف فساده ، فإن مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله » .

٦ ـ حظرت الصحيفة على اهل المدينة أياً كانت عقيدتهم

التعاون مع مشركي مكة لانهم كانوا في حالة حرب مع المسلمين . فنصت على انه لا يجوز ان « يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن » ، « وانه لا تجار قريش و لا من نصرها » .

٧ ـ ان مجمل احكام الصحيفة تكرس الرسول (ص) بوصفه الرئيس الاعلى لدولة المدينة ، وتلزم سكانها كافة بعرض منازعاتهم عليه لحلها ، كما تعطيه الحق بقيادة اهل المدينة في اوقات السلم والحرب ، وتمنع اية فئة من سكان المدينة ان يخرجوا لقتال من دون موافقته .

ان احكام الصحيفة التي اوجزنا أهم مبادئها اعلاه تظهر مدى سماحة الاسلام ومدى حرص الرسول (ص) على اقامة مجتمع يتعايش فيه الناس على اساس مبادىء المساواة والعدالة بغض النظر عن انتماءاتهم القبلية او الدينية . فهل قوبلت هذه المبادىء بالقبول والترحاب من قبل جميع سكان المدينة . ام انها استغلت وخاصة من قبل اليهود وحلفائهم من مشركي المدينة للدس والتآمر من أجل محاربة الاسلام وتقويض سلطة الرسول (ص) ؟.. هذا ما سيتم ايضاحه في الصفحات الآتية : ـ

دسائس اليهود والنضال الفكري ضدهم : ـ

على الرغم من التزام اليهود الظاهري بموقف اهل المدينة العام بحسن استقبال الرسول (ص) حين هاجر الى المدينة ، لا أن موقفهم الباطني ـ كما تؤكد المصادر التاريخية ـ كان على خلاف ذلك . فقد روي عن صفية بنت حيي أنها قالت لما

« قدم رسول الله (ص) المدينة ، ونزل بقباء في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه ابي ، حيي بن أخطب ، وعمي ؛ يـاسر بن أخطب ، مغلسين . قالت : فلم يرجعـا حتى كان مـع غروب الشمس . قالت : فأتيا كالين ، كسلانين ، ساقطين ، يمشيان الهوينى . قالت : فهششت اليهما كما كنت اصنع ، فوالله ما التفت إلي واحد منهما ، مع ما بهما من الغم . قالت : وسمعت عمي ابا ياسر ، وهو يقول لابي ، حيي بن أخطب ، أهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت »[٧١] .

ولم يكن هذا الموقف العدائي للرسول (ص) مقصورا على هذين الزعيمين من زعماء اليهود ، بل انه كان موقف عامة زعماء اليهود وأحبارهم . فقد ذكر ابن اسحاق ان الرسـول (ص) ما كاد يصل الى المدينة ويستقر فيهـا حتى نصب له احبار اليهود « العداوة بغياً وحسداً وضغناً لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم »[٧٢] .

يتضح مما تقدم ان سبب بغض اليهود للرسول (ص) وعداوتهم له يرجع الى انهم كانـوا يتوقعـون مجيء النبي من بينهم ، ليقودهم ويقضي على اعدائهم . وهو أمر كانوا يتهددون العرب بقرب حدوثه كما قدمنا . فلما ظهر الرسول (ص) من بين العرب شعروا بالحقد والحسد وراحوا يكيدون ويدبرون المكائد ضد الرسول (ص) ودعوته، ولم تجد معهم المحاولات كافة التي بذلها من اجـل كسبهم وتألف قلوبهم والتي تجلت بأقوى صورها في التنظيمات التي وضعها في الصحيفة لتنظيم العلاقات بينهم وبين المسلمين .

وهكذا فقد انطلق اليهود بممارسة مختلف صور التشكيك والدس والتآمر ضد الرسول (ص) والدعوة الاسلامية . وندرج في ادناه الابعاد العامة لصراع الرسول (ص) ضد الدسائس اليهودية في صوره المختلفة : -

١ - على الرغم من الخلاف العقائدي العميق الذي يفصل اليهود عن المشركين ، الا ان حقدهم على الرسول (ص) ودعوته ، جعلهم يتعاونون مع مشركي المدينة ضد الاسلام .. ثم استمر التعاون بينهم بعد ان دخل هؤلاء المشركون في الاسلام ظاهرياً إثر انتصار المسلمين في معركة بدر ، ولكنهم بقوا في الباطن يضمرون الشرك والعداوة للدعوة الاسلامية .

وهكذا انعقد تحالف ضمني بين اليهود ومنافقي المدينة الذين استثمروا صلاتهم بأبناء قومهم من الانصار ، واستفادوا من تظاهرهم بالاسلام ليتحولوا الى وسط ناقل للاشاعات والدسائس التي تستهدف تمزيق وحدة المسلمين والتشكيك برسالة الاسلام .

يقول ابن اسحاق ؛ وقد انضاف الى اليهود في العداوة للاسلام : « رجال من الاوس والخزرج ممن كان عسى على جاهليته ، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث ، الا ان الاسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالاسلام واتخذوه جنة من القتل ، ونافقوا في السر ، وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبي (ص) ، وجحودهم الاسلام وكانت احبار يهود هم الذين يسألون رسول

الله (ص) ويتعنتونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل »[٧٢] .

وقد تولت الكثير من آيات القرآن الكريم كشف حقيقة اليهود والمنافقين ، فأوضحت ان مواقفهم لا تستند الى أساس من العقيدة او الدين ، والا لما استباح اليهود ولانفسهم التعاون مع الكفار والمشركين ضد المسلمين الموحدين[٧٣] .

كما بينت آيات القرآن الكريم انه لا يقف وراء تعاون المنافقين مع اليهود عزم وتصميم حقيقيان وانما هي مواقف انتهازية مترددة تحركها الاطماع والاحقاد الشخصية . جاء في سورة الحشر في وصف موقف المنافقين :«الم تر الى الذين نافقوا ، يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب ، لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احداً ابداً ، وان قوتلتم لننصرنكم، والله يشهد انهم لكاذبون ، لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون »[٧٤] .

وقد استمر التعاون والتنسيق بين اليهود والمنافقين في المدينة باشكال مختلفة حتى تم القضاء على قوة القبائل اليهودية الرئيسة في المدينة في حدود السنة السادسة للهجرة ، كما سنوضح ذلك في الصفحات التالية[٧٥] .

٢ ـ لم يقتصر كيد اليهود على التعاون مع المنافقين وتسخيرهم لاشاعة الشك والانقسام بين المسلمين ، بل

حاول بعضهم ان يعتنق الاسلام ظاهـريا عـلى طريقة المنافقين ويبقى محتفظاً بيهوديته في الباطن . ذكر ابن اسحاق ان رفاعـة بن زيد بن التـابوت ، وسـويد بن الحارث ، وكانا يهوديين ، « اظهرا الاسلام ونافقـا ، فكان رجال من المسلمين يوادنهمـا ، فأنـزل الله تعالى فيهما »[٧٦] : « يا ايهـا الذين آمنوا لا تتخـذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعبـاً من الذين اتوا الكتـاب من قبلكم والكفار اولياء ، واتقوا الله ان كنتم مؤمنين ، واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون »[٧٧] .، « واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون »[٧٨] .

ولم يكتف اليهود باتخاذ الشعائر الاسلامية مادة للهزء واللعب كما يشير القرآن الكريم ، بل ان بعضهم قد حاول ان يتظاهر باعتناق الاسلام لمدة من الوقت ثم يعمد الى الرجوع عن الاسلام والكفر به من اجل حمل المسلمين على الشك في عقيدتهم والكفر بها . وقد وصف القرآن الكريم هذه العملية بقوله : « وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انـزل على الذين آمنـوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون »[٧٩] .

٣ ـ لم يقصر اليهود موقفهم على عدم الايمان بنبوة الرسول (ص) ، رغم انهم كـانـوا يخبـرون العـرب بقـرب ظهـوره ، بل ذهبـوا أبعد من ذلك كثيـراً ، إذ أخذوا يكذبون الرسول (ص) ، ويشككون برسالته .

لذا فقد تولي القـرآن الكريم الرد عليهم وكشف مواطن التناقض في موقفهم في العديد من الآيات ، نحو

قوله : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين »[٨٠] .

لقد زعم اليهود ان الله قد اختص بني اسرائيل وحدهم بالنبوة ،لذا فانه لا يمكن ان يكون هناك نبي من غيرهم[٨١] . غير ان القرآن الكريم ذكرهم بأن ابراهيم ـ ابا الانبياء جميعا ـ قد وجد قبل ان يوجد بنو اسرائيل ،وقبل ان تظهر الديانة اليهودية والمسيحية الى الوجود[٨٢] .

وقد اوضح القرآن الكريم ان ابراهيم (ع) هو الجد الاعلى للرسول محمد (ص)[٨٣] ، لان عرب الشمال ينتسبون الى اسماعيل ، الذي ساعد أباه ابراهيم في بناء الكعبة في مكة ، وسكن بجوارها لخدمتها ورعايتها بناءً على اوامر الله تعالى : « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »[٨٤] .

وقد أكد القرآن الكريم في العديد من الآيات ان رسالة الاسلام التي نزلت على الرسول محمد (ص) ، هي الحنيفية السمحة التي جاء بها ابراهيم (ع)[٨٥] . ومن ثم ، فإن الرسول (ص) ومن اتبعه من المؤمنين أحق بالانتساب الى ابراهيم من بني اسرائيل[٨٦] .

ان تكذيب اليهود للرسول (ص) ، لم يكن مرجعه الى انه لم يأت من بني اسرائيل فقط ،وانما كان

مرجعه حسبما يؤكد القرآن الكريم - الى عزوف اليهود عن طريق الهداية ، وميلهم الى الشقاق والنفاق لذا فقد كان موقف آبائهم من الانبياء الذين ارسلوا اليهم - وكانوا من بني اسرائيل ، موقفاً مشابهاً لموقف اليهود المعاصرين للدعوة الاسلامية : « فبما نقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلق ، بل طبع الله عليها بكفرهم ، فلا يؤمنون الا قليلاً »[٨٧] .

٤ - حاول اليهود في صراعهم ضد الدعوة الاسلامية التشكيك ببعض العقائد والتعاليم الاسلامية بحجة مخالفتها لما جاءت به التوراة . غير ان القرآن الكريم اوضح ان بعض تعاليم التوراة قد حرفت من قبل أحبار اليهود . ومن ثم ، فلم تعد التوراة المتداولة بين اليهود حجة يحكم من خلالها على صحة ما جاء به القرآن . بل ان القرآن هو الحكم والمهيمن على سائر التعاليم التي جاءت بها الاديان السابقة لانه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه .. وان رسالة الاسلام هي خاتمة الرسالات .

وقد اوضح القرآن فضلاً عما تقدم ، ان الاديان السماوية الثلاثة تتفق في جوهر العقيدة وهي « اسلام الامر لله وحده » ، ولكنها تختلف في الاحكام التشريعية التي جاءت لتنظيم حياة اتباعها : « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، فأحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء

الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم »[٨٨] .

في ضوء ما تقدم توالت التشريعات التي تؤكد البعد العربي في الرسالة الاسلامية ، وتميزها عن الديانات السماوية السابقة ، وبخاصة اليهودية مما أثار حقد اليهود ودفعهم الى مضاعفة كيدهم ضد الدعوة الاسلامية ، وكانت ابرز تلك التشريعات ما يأتي : ـ

١ ـ تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة : ـ

لقد كان المسلمون يتوجهون في صلاتهم الى بيت المقدس ، غير ان الرسول (ص) كان يتطلع الى نزول تشريع بجعل القبلة الى الكعبة لأنها البيت العتيق الذي بناه ابراهيم لعبادة الله تعالى . وقد استجاب الله تعالى لامنية الرسول (ص) فنزل الوحي عليه بتحويل القبلة الى الكعبة في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من هجرته الى المدينة[٨٩] .

جاء في القرآن الكريم : « قد نرى تقلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » . وقد وصف القرآن موقف اليهود من هذه المسألة فنعتهم بـ « السفهاء » وتولى الرد عليهم بقوله : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدي من حيث يشاء الى صراط مستقيم » . كما أشار الى استحالة كسب اليهود واتباعهم لقبلة المسلمين بقوله :

« ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك إذاً لمن الظالمين »[٩٠] .

ب ـ الأذان وسيلة للدعوة الى الصلاة : ـ

لقد كان المسلمون بعد هجرة الرسول (ص) الى المدينة يجتمعون للصلاة في المسجد في الوقت المحدد لها من غير دعوة مخصوصة ، فهمّ الرسول (ص) على وفق ما رواه ابن اسحاق ـ « ان يجعل بوقاً كبوق يهود الذي يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس ، فنحت ليضرب به للمسلمين في الصلاة ، فبينما هم على ذلك » . إذ جاء احد المسلمين ويدعى عبدالله بن زيد من الانصار فاقترح على الرسول (ص) صيغة الأذان المعروفة لتكون وسيلة لدعوة المسلمين للصلاة فاستحسن الرسول (ص) هذا المقترح الذي يؤكد تميز المسلمين عن غيرهم ، وأمر بتنفيذه[٩١] .

ويظهر مما اورده ابن سعد في طبقاته ان الامر باتخاذ الأذان كوسيلة للدعوة الى الصلاة قد جاء بعد تحويل القبلة الى الكعبة[٩٢] .

ج ـ فرض صيام شهر رمضان : ـ

ذكر الطبري ان الرسول (ص) « حين قدم المدينة ، رأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فسألهم

فأخبروه انه اليوم الذي غرّق الله فيه آل فرعون ونجى موسى ومن معه منهم ، فقال : نحن أحق بموسى منهم . فصام وأمر الناس بصومه » . وقد استمر المسلمون على ذلك حتى فرض عليهم صوم شهر رمضان ، وكان ذلك في شهر رجب من السنة الثانية لهجرة الرسول (ص) الى المدينة ، فحل واجب صيام شهر رمضان محل صوم عاشوراء[٩٢] . وبذلك تميز المسلمون في أمر صيامهم عن اليهود .

د ـ الحج الى بيت الله الحرام :ـ

احاط الاسلام الكعبة بنظرة ملؤها الاحترام والقداسة بشكل يفوق ما كان يفعله العرب قبل مجيء الدعوة الاسلامية . وقد وصفها القرآن الكريم بأنها بيت الله الحرام ، وأول بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى ، وأكد الصلة بين دين ابراهيم الحنيف وبين بناء الكعبة .

ولم ينقطع تعلق المسلمين الروحي بالكعبة بعد هجرة الرسول (ص) الى المدينة وتوجههم الى القدس عند اداء الصلاة ، إذ بقي الرسول (ص) يقلب وجهه في السماء متطلعاً الى نزول الوحي لتغيير القبلة من بيت القدس الى الكعبة ، حتى استجاب الله لرجائه ـ كما قدمنا ـ فأصبحت الكعبة قبلة المسلمين أينما كانوا .

ويبدو ان المسلمين كانوا يشاركون قومهم العرب في أداء مناسك الحج والعمرة قبل نزول الآيات القرآنية

التي تنظم اداء فريضة الحج على الطريقة الاسلامية ، إذ يشير ابن اسحاق ان وفد اهل المدينة الذين جاؤوا لمبايعة الرسول (ص) بيعة العقبة الثانية ، إنما جاؤوا الى مكة مع قومهم لاداء فريضة الحج[٩٤] .

في ضوء ما تقدم ، فقد نظم الرسول (ص) في السنة السادسة للهجرة حملة « عسكرية ـ دينية » الى مكة هدفها دخول مكة لأداء العمرة رغم حالة الحرب التي كانت قائمة بينه وبين قبيلة قريش . ولم تثن دوافع الرسول (ص) السلمية وتطلعاته الروحية قريش عن معارضتها للرسول واصرارها على منعه من دخول مكة لزيارة الكعبة ، فاضطر الى التفاوض معها ، وتوقيع صلح الحديبية الذي يسمح له وللمسلمين بزيارة مكة في العام المقبل لأداء مناسك العمرة[٩٥] .

وقد أخذت الكعبة اهميتها النهائية بوصفها مركزاً للحج الاسلامي بعد فتح مكة ونزول آيات القرآن الكريم التي تنظم فريضة الحج على وفق التعاليم الاسلامية في السنة التاسعة للهجرة[٩٦] . وبذلك تأكدت هوية الاسلام العربية بشكل جلي وتم دمج افضل ما حوته التقاليد والقيم الدينية العربية في اطار الرسالة الاسلامية الجديدة .

ان دراسة الآيات القرآنية الكريمة ، والروايات التاريخية التي اوردتها كتب السيرة النبوية ، تشير الى ان التشريعات الاسلامية التي اوضحت آنفاً جانباً منها ، قد نمت وتكاملت في إطار التحديات والصراعات الداخلية والخارجية ضد اليهود والمنافقين والمشركين . ولم يكن ثمة انفصال بين الصراع الفكري والصراع العسكري ، بل كان هنالك تفاعل

وتداخل بينهما طوال المرحلة المدنية التي امتدت عشر سنوات تقريباً .

الصراع المسلح ضد اليهود : -

بدأ صراع المسلمين العسكري ضد اليهود بعد معركة بدر في السنة الثانية للهجرة ولكنه لم يتخذ شكل حرب شاملةضد جميع القبائل اليهودية التي كانت تقطن المدينة ، لان الرسول (ص) لم يكن راغباً في محاربتها ، ربما بسبب العوامل المشتركة التي كانت تربط بين الديانات السماوية .لذا فقد حرص على المحافظة على علاقات التعاون والتحالف التي عقدها معها ، على الرغم من اندفاع اليهود باتجاه محاربة الاسلام والتشكيك بالقيم التي جاء بها كما اوضحنا سابقاً .

لقد حاول الرسول (ص) الا يتوسع في استخدام القوة ضد اليهود وان يحصر استخدامها ضد الفئة او القبيلة التي تنقض عهدها معه او تتحداه بصورة لا يبقى معها امامه من خيار سوى اللجوء الى القوة لتسوية الخلاف معها .

لقد وصف بعض المستشرقين سياسة الرسول (ص) تجاه اليهود بانها سياسة شديدة كانت تستهدف طرد جميع اليهود من المدينة « لا لسبب الا لانهم يهود »[٩٧] . غير ان التحقيق العلمي المنصف يثبت عكس ذلك . اذ لم تكن من عادة الرسول (ص) كما يقول الاستاذ وات : « اتباع سياسة قاسية بهذا الشكل ، بل كانت نظراته معتدلة ، يحسب حساب المشاكل الرئيسة التي تؤثر في الحالة الراهنة والاهداف البعيدة التي يسعى الى تحقيقها . واعتماداً على هذه المعطيات كان

يكيف موقفه يوماً بيوم منسجماً مع العوامل المتغيرة التي تنتج عن الحوادث اليومية »[٩٨] .

في ضوء ما تقدم ، فقد تعامل الرسول (ص) مع القبائل اليهودية كل على حدة ، ولم يحاول ان يجد صراعه مع احداها ليشمل بقية القبائل الاخرى طالما بقيت على الحياد رغم ادراكه العميق للمشاعر السلبية التي كان يحملها اليهود كافة له ولدعوته . وهكذا فقد امتد الصراع بين المسلمين واليهود لمدة خمس سنوات . بدأ مع قبيلة بني قينقاع في السنة الثانية للهجرة ، وانتهى مع قبيلة خيبر وسكان فدك وتيماء ووادي القرى في السنة السابعة للهجرة . وسنعرض في الصفحات الآتية أبعاد هذا الصراع والنتائج التي تمخض عنها وفقاً للتسلسل الزمني للحوادث بصورة موجزة : -

١ - الصراع المسلح مع بني قينقاع :

تجمع المصادر التاريخية على ان يهود بني قينقاع كانوا اول من نقض العهد مع الرسول (ص) وتحداه من أجل المواجهة في ساحات القتال . فقد ذكر الطبري ان الرسول (ص) حين حارب مشركي قريش وانتصر عليهم في معركة بدر اظهر له اليهود « الحسد والبغي ، وقالوا : لم يلق محمد من يحسن القتال ، ولو لقينا لاقى عندنا قتالاً لا يشبهه قتال أحد ، وأظهروا نقض العهد »[٩٩] . كما اورد ابن اسحاق ان يهود بني قينقاع قالوا للرسول (ص) حين نصحهم بالكف عن معارضته واتباعه : لا يغرنك يا محمد ما احرزته من انتصار على قومك في الحرب نتيجة عدم خبرتهم في القتال ، « إنا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس »[١٠٠] .

ويظهر مما اوردته المصادر التاريخية ان يهود بني قينقاع لم يقنعوا بمجرد تحدي سلطة الرسول (ص) بالقول ، بل إنهم قرنوا القول بالفعل فقد ذكر ابن اسحاق ان « إمرأة من العرب قدمت بجلب (اي بضاعة) لها ، فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست الى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها ، فصاحت . فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً وشدت اليهود على المسلم فقتلوه .. »[١٠١] .

ولم يحاول يهود بني قينقاع الاعتذار عن صنيعهم او محاولة تطويق آثاره ، بل انهم « نبذوا العهد ـ الذي كان يربطهم بالمسلمين ـ الى النبي (ص) وحاربوا ، وتحصنوا في حصنهم » كما يؤكد الواقدي[١٠٢] . لذا لم يجد الرسول (ص) مناصاً من اعلان الحرب عليهم ومقاتلتهم .

ويبدو ان يهود بني قينقاع كانوا مغترين بقوتهم حيث ذكر انهم « كانوا اشجع يهود »[١٠٣] ، وان عدد مقاتلتهم كان يبلغ سبعمائة مقاتل « اربعمائة دارع وثلاثمائة حاسر* »[١٠٤] ، كما كان لديهم حصن منيع يتحصنون به اثناء القتال. فضلاً عن انهم كانوا يرتبطون بحلف مع بني عوف من الخزرج الذين ينتمي اليهم عبدالله بن أُبي ـ زعيم المنافقين ، الذي شجعهم على محاربة الرسول (ص) ووعدهم بأنه سيدخل معهم حصنهم ويقاتل الى جانبهم . وربما اوحى اليهم بانه قادر على احداث تصدع في صفوف المسلمين واجتذاب قومه من الانصار للوقوف الى جانبه ضد الرسول (ص)[١٠٥] .

غير ان آمال اليهود قد خابت وشجاعتهم المزعومة قد تحولت الى تردد وذعر حينما توجهت قوات المسلمين وحاصرت حصن بني قينقاع .. واستمر الحصار « لمدة خمس عشرة ليلة » دون ان يجد اليهود لديهم الجرأة لمقاتلة المسلمين « فما رموا بهم ولا قاتلوا حتى نزلوا على صلح رسول الله (ص) وحكمه »[١٠٦] .

كما ان ابن ابي لم يجد لديه القدرة على نجدتهم حيث ان قومه من بني عوف قد رفضوا دعوته للتمسك بحلفهم مع بني قينقاع ، واخبره عباده بن الصامت احد رجالات بني عوف انه « قد تغيرت القلوب ، ومحا الاسلام العهود » السابقة عليه[١٠٧] . لذا لم يجد ابن أبي امامه من وسيلة لمساعدة يهود بني قينقاع سوى ان يتوسط لهم عند الرسول (ص) كي يمن عليهم ولا ينفذ فيهم عقوبة القتل . فوافق الرسول (ص) على ذلك . وطلب منهم الجلاء عن المدينة في خلال ثلاثة ايام فوافقوا على ذلك وتركوا المدينة خلال المهلة المحددة لجلائهم[١٠٨] .

ان موقف بني قينقاع آنف الذكر ، يثير تساؤلاً حول العوامل التي جعلتهم يسارعون الى نقض عهدهم مع الرسول (ص) دون غيرهم من القبائل اليهودية التي كانت تقطن معهم في المدينة .

لقد كان لبني قينقاع سوق في المدينة يحمل اسمهم ، وانهم كانوا يشتغلون في هذا السوق بالتجارة وممارسة بعض الحرف كالصياغة . لذا فقد وجدوا في اشتغال صحابة رسول الله (ص) من المهاجرين الذين اشتهروا ببراعتهم التجارية بحكم انتمائهم الى قبيلة قريش ، ما يهدد مصالحهم الاقتصادية[١٠٩] ، فتضافر هذا العامل مع بقية العوامل الدينية والسياسية من اجل تحريك مشاعر العداء والحقد لديهم ضد

المسلمين ودفعهم الى نقض عهدهم مع الرسول ومحاربته .

لقد ترتب على انتصار المسلمين على بني قينقاع وإجلائهم عن المدينة الى « اذرعات » في بلاد الشام ، ان ازداد مركز الرسول (ص) قوة في داخل المدينة ، وضعف مركز خصومه من المنافقين واليهود . كما تحسنت اوضاع المسلمين الاقتصادية وبخاصة المهاجرين منهم بسبب استفادتهم من المساكن والاموال التي تركها لهم بنو قينقاع[١١٠] . هذا ، فضلا عن زوال المنافسة التجارية التي كان يمثلها هؤلاء اليهود للمهاجرين الذين كانوا يمارسون المهنة نفسها .

٢ ـ الصراع المسلح مع بني النضير : ـ

لم يستطيع يهود قبيلة بني النضير ان يخفوا مشاعر الخيبة والحزن لدى وصول انباء انتصار الرسول (ص) على قريش في معركة بدر . فقد روى الواقدي ان كعب بن الاشرف ، وهو احد زعماء بني النضير قال لقومه لدى سماعه باخبار معركة بدر : « ويلكم ، والله لبطن الارض خير لكم من ظهرها اليوم !؛ هؤلاء سراة الناس قد قتلوا وأسروا ، فما عندكم ؟ قالوا عداوته ما حيينا . قال : وما أنتم وقد وطيء قومه وأصابهم ؟ ولكني أخرج الى قريش فأحضهم وأبكي قتلاهم ، فلعلهم ينتدبون فأخرج معهم »[١١١] .

وهكذا فقد نقض ابن الاشرف عهده مع الرسول (ص) واتجه الى مكة يحرضهم على قتال الرسول (ص) ويعرض عليهم مساعدته او ربما مساعدة قومه في الحرب . وكان ابن الاشرف شاعراً فأخذ ينظم القصائد في رثاء قتلى قريش الذين سقطوا ـ في معركة بدر ، ويحرض على حرب الرسول (ص)

« ويشبب في نساء المسلمين حتى آذاهم »[١١٢] . لذا فقد أمر الرسول (ص) بقتله حين رجع الى المدينة ، فقد روي عن الرسول (ص) قوله : « اللهم اكفني ابن الاشرف بما شئت في اعلانه الشر وقوله الاشعار . وقال .. من لي بابن الاشرف ، فقد آذاني ..؟ » فتطوع احد الصحابة للقيام بمهمة قتله فأذن له رسول الله (ص) بذلك فقتله[١١٣] .

وقد أدخل مقتل كعب بن الاشرف الرعب في نفوس يهود بني النضير وحملهم على السعي من أجل تجديد تحالفهم مع الرسول (ص) فقد ذكر انهم جاءوا الى الرسول (ص) صبيحة مقتل ابن الاشرف فقالوا له : « قد طرق صاحبنا الليلة ، وهو سيد من ساداتنا قتل غيلةً بلا جرمٍ ولا حدث علمناه، فقال رسول الله (ص) : انه لو قر كما قر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنه نال منا الاذى وهجانا بالشعر ، ولم يفعل هذا احد منكم الا كان له السيف . ودعاهم رسول الله (ص) الى ان يكتب بينهم كتابا ينتهون الى ما فيه . فكتبوا بينهم وبينه كتابا . فحذرت اليهود وخافت وذلت من يوم قتل ابن الاشرف »[١١٤] .

ولم يطل التزام اليهود ببنود عهدهم مع الرسول (ص) ، اذ ما كادت تقع معركة أحد في السنة الثالثة للهجرة ، وتصل أخبار خسائر المسلمين في هذه المعركة ، حتى اظهر اليهود الفرح والشماتة وأخذوا يشككون في حقيقة دعوة الرسول (ص) . فقد ذكر ان اليهود اظهرت بعد معركة أحد « القول السيىء، فقالوا : ما محمد الا طالب ملك ، ما اصيب هكذا نبي قط ! اصيب في بدنه وأصيب في اصحابه »[١١٥] .

ويبدو ان اقوال اليهود هذه قد أثارت بعض الصحابة ، فذهب عمر بن الخطاب (رض) الى الرسول (ص) ليستأذنه في قتل من ينشر هذه الاقاويل من اليهود ، غير ان الرسول (ص) لم يأذن له ، وأجابه بقوله : « إن الله مظهر دينه ومعز نبيه ، ولليهود ذمة فلا أقتلهم »[116] .

ويظهر من الروايات التاريخية التي وصلت الينا عن موقف يهود بني النضير من معركة احد ، ان دورهم كان يتجاوز مجرد الشماتة والفرح بخسارة المسلمين ومحاولة استثمار نتائجها لصالحهم ، إذ ان هنالك ما يشير الى انهم كانوا يتعاونون مع قبيلة قريش ضد المسلمين . فقد روى موسى ابن عقبة ان يهود بني النضير كانوا قد : « دسوا الى قريش حين نزلوا بأحد لقتال رسول الله ، فحضوهم على القتال ، ودلوهم على العورات »[117] .

ان هذا الموقف الخياني ليهود بني النضير يثير التساؤل حول مدى التعاون الذي كان قائماً بينهم وبين زعيم المنافقين في المدينة عبدالله بن أبي قبيل معركة احد من اجل تفكيك الجبهة الداخلية وتمكين قريش من التغلب على المسلمين . إذ من المعروف ان عبدالله بن أُبي اقترح على الرسول (ص) بحماس ان يبقى للقتال في المدينة وحين رفض الرسول (ص) اقتراحه وقرر الخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة اصيب بخيبة امل وخرج مع الرسول على كره .. ثم لم يلبث ان قرر العودة الى المدينة وعدم المشاركة في القتال بعد ان اقنع حوالي ثلاثمائة شخص بالعودة معه ، وهم يشكلون حوالي ثلث الجيش[118] . الا يدل هذا الموقف على سوء النية التي كان يبيتها المنافقون

ضد المسلمين ؟.. ثم هل يمكن الفصل بين هذا الموقف وبين موقف اليهود المتعاون سراً مع المشركين ؟.. ان التطورات التي اعقبت معركة احد قد كشفت ابعاد التعاون الخطير بين اليهود والمنافقين ومشركي مكة ، وهو امر ستزيده الصفحات الآتية توضيحاً من خلال الحديث عن اجلاء بني النضير عن المدينة .

تشير المصادر التاريخية الى ان السبب المباشر لمحاربة الرسول (ص) لبني النضير ، ان الرسول (ص) ذهب برفقة بعض اصحابه الى ديار بني النضير في اطراف المدينة طالباً منهم معاونته في دفع دية رجلين كان قد قتلهما احد اصحابه خطأً استنادا الى مبادىء التعاون والتحالف التي كانت قائمة بينهما . وقد رحب اليهود بالرسول (ص) وطلبوا منه الجلوس ليصنعوا له طعاما . فجلس الرسول (ص) مسنداً ظهره الى بيت من بيوتهم . عند ذلك دارت في رأس احد زعمائهم وهو حيي بن اخطب فكرة اغتيال الرسول (ص) وهو بينهم . فقال حيي : « يا معشر اليهود ، قد جاءكم محمد في نفير من اصحابه لا يبلغون عشرة .. فاطرحوا عليه حجارة من فوق هذا البيت الذي هو تحته فاقتلوه ، فلن تجدوه اخلى منه الساعة ، فإنه ان قتل تفرق اصحابه ، فلحق من كان معه من قريش بحرمهم ، وبقي من ها هنا من الاوس والخزرج حلفاؤكم »[١١٩] . ورغم تحذيرات احد زعماء اليهود من عواقب هذا الغدر .. الا ان يهود بني النضير مضوا في تنفيذ مؤامرتهم .. وتطوع احدهم لتنفيذ الفكرة . غير ان الرسول (ص) احس بالمؤامرة فتسلل خارجاً من ديار بني النضير بحجة قضاء حاجة طارئة ثم عاد الى المدينة[١٢٠] .

أيقن الرسول (ص) ، بعد انكشاف امر هذه المؤامرة انه لم يعد بالامكان التعايش بسلام مع يهود بني النضير في المدينة . لذا فقد بعث اليهم احد اصحابه ، محمد بن مسلمة من الاوس ، وكانوا حلفاء لبني النضير ، ليبلغهم جواب رسول الله (ص) على غدرهم ونقضهم للعهد بقوله : « اخرجوا من بلدي ، فقد أجلتكم عشراً ، فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه »[١٢١] .

ولم يكن هذا القرار يتضمن اكثر من طلب الجلاء عن المدينة . ومن ثم فقد كان يحق لليهود في حالة قبولهم له ان يحتفظوا بآراضيهم واموالهم ، حيث ان بامكانهم أخذ اموالهم المنقولة معهم ، واستثمار اموالهم غير المنقولة كالمزارع بالواسطة . وقد عبر عن هذا المعنى سلام بن مشكم احد زعماء اليهود حينما نصح قومه بالامتثال لقرار الرسول (ص) بقوله : « فنقبل ما اعطانا من الامن ونخرج من بلاده .. فإذا كان اوان الثمر جئنا او جاء من جاء منا الى ثمره فباع او صنع ما بدا له ثم انصرف الينا ، فكأنا لم نخرج من بلادنا اذا كانت اموالنا بأيدينا »[١٢٢] .

غير ان يهود بني النضير لم يمتثلوا لأوامر الرسول (ص) بالجلاء عن المدينة ، وقد شجعهم على اتخاذ هذا الموقف زعيم المنافقين عبدالله بن أُبي حينما قال لهم : « ان اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم ان قاتلتم قاتلنا معكم ، وإن خرجتم خرجنا معكم »[١٢٣] . كما نقل عنه قوله لهم : « لا تخرجوا من دياركم واموالكم ، واقيموا في حصونكم ، فإن معي الفين من قومي وغيرهم من العرب ، يدخلون معكم حصنكم فيموتون من آخرهم قبل ان يوصل اليكم ، وتمدكم

قـريضـة فـإنهم لن يخـذلونكم ، ويمـدكم حلفـاؤكم من غطفان »[١٢٤] .

وهكـذا فقد رفض اليهـود الانصياع لاوامـر الرسول (ص) بالجلاء عن المدينة.. فاعتبر رفضهم بمثـابة اعـلان حرب . فقال : « حاربت يهود »[١٢٥] ، ثم طلب من اصحـابه التوجه نحو ديار بني النضير لمحاربتهم وكان ذلك في شهر ربيع الاول من السنـة الرابعة للهجـرة[١٢٦] ، فحـاصـرهم وهم في قلاعهم ، وشدد عليهم الحصـار ، ثم قام بتحـريق مزارعهم وبعض نخيلهم ، مما اثر عليهم كثيرا ، خاصة وان المنافقين لم يخفوا لمساعدتهم كما وعدوا ، لذا ارسلوا الى الرسول (ص) يعلنون فيه موافقتهم على الجلاء بالشروط السابقـة ، الا ان الرسول (ص) اوضح لهم ان تلك الشروط كانت قبل القتال ، اما وقد اختاروا الحرب ، فإن عليهم الاستسلام وفقاً للشروط الجديدة ؛ وهي ان يقوموا بالجلاء عن المدينة على ان : « لهم ما حملت الأبل من اموالهم الا الحلقة »[١٢٧] ، اي ان عليهم ان يتخلوا عن مزارعهم وبيوتهم واسلحتهم للرسول (ص) ، وأن يأخذوا معهم اموالهم المنقولة التي يستطيعون حملها على ظهور الابل .

وقد تردد اليهود « يوما او يومـين »[١٢٨] في قبول هـذه الشروط ، ثم اعلنوا الاستسلام بعد ان ادركهم اليـأس من تحقيق النصر او الحصول على النجدة من حلفائهم المنافقين .

ان ما تقدم يدل على ان بني النضير كانوا اضعف من المسلمين كثيراً لأنهم لم يستطيعوا المقاومة بشكل جاد واكتفوا بـالاحتماء بحصـونهم على امـل ان يـدرك التعب المسلمـين فينصرفوا عنهم . فكم كان عدد رجالهم القادرين على القتال كي

يتصرفوا بهذه الطريقة ؟.. لا تقدم لنا المصادر التاريخية معلومات مباشرة في هذا المجال ، غير ان الواقدي ذكر ان الاسلحة التي غنمها الرسول (ص) منهم كانت « خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلثمائة واربعين سيفا ، ويقال غيبوا بعض سلاحهم وخرجوا به »[١٢٩] . فإذا كان عدد سيوف بني النضير بحدود ثلاثمائة واربعين سيفا عدا بعض الاسلحة التي تمكنوا من إخفائها ، فلا بد من ان عدد مقاتلتهم كان بحدود اربعمائة مقاتل ، وهو عدد يقل كثيراً عن عدد مقاتلة المسلمين الذين شاركوا في معركة احد . فإذا اضفنا الى عامل الفارق العددي الجانب المعنوي الذي كان يتفوق به المسلمون كثيرا على اليهود، اتضح لنا سر انتصار المسلمين الحاسم على يهود بني النضير .

لقد ترتب على نجاح المسلمين في اجلاء بني النضير ان ازداد مركز الرسول (ص) قوة على مستوى الجبهة الداخلية حيث ازداد اليهود والمنافقون ضعفا، واصبحت امكانيات المسلمين اعلى في مواجهة التحديات الخارجية بسبب تحسن الاوضاع الداخلية في المدينة .

اما على المستوى الاقتصادي فقد ساعد حصول المسلمين على أموال بني النضير على موازنة الاوضاع الاقتصادية في المدينة اذ قام الرسول (ص) بتوزيع هذه الاموال باعتبارها « فيئاً » اي عطاءً ، أفاءه الله على رسوله من غير قتال على « الفقراء - المهاجرين » بصورة اساسية ثم استبقى جزءاً قليلاً منه للاستفادة من غلته لسد حاجات بيته وذوي قرباه لمدة سنة وما زاد عن ذلك كان يخصصه للنفقات العامة [١٣٠] .

٣ ـ الصراع المسلح مع بني قريظة : ـ

ان صراع المسلمين مع يهود بني قريظة يرتبط بصورة مباشرة بموقفهم من غزوة الاحزاب ، كما ان غزوة الاحزاب ذاتها قد جاءت نتيجة للجهود التي بذلها زعماء بني النضير لتوحيد القوى المعارضة للدعوة الاسلامية من أجل الثأر لهزيمتهم امام المسلمين واجلائهم عن المدينة . فقد ذكرت المصادر التاريخية ان بني النضير حينما غادروا المدينة استقر معظمهم في خيبر حيث كانت تربطهم روابط وثيقة مع يهود هذه المدينة ، ومن ثم ، فقد شرع زعماؤهم بالاتصال بأهل مكة وقبيلة غطفان من أجل تكوين حملة عسكرية كبيرة يتعاون فيها مشركو مكة وغطفان وبنو النضير وبنو قريظة في مرحلة لاحقة من أجل احتلال المدينة والقضاء على الرسول (ص) ودعوته .

وقد نجحت جهود زعماء بني النضير في تجريد هذه الحملة التي دعيت بغزوة الاحزاب ، وكانت تتألف من عشرة آلاف مقاتل بقيادة أبي سفيان حيث تمكنت من فرض الحصار على المدينة[١٣١] . وقد حشد الرسول (ص) ثلاثة آلاف مقاتل للدفاع عن المدينة ، كما حفر خندقاً ليمنع قريش من التقدم واختراق دفاعات المدينة[١٣٢] .

في ضوء ما تقدم وجد زعماء غزوة الاحزاب ان دور بني قريظة قد اصبح حيوياً لكسب المعركة،إذ ان من شأن محاربتهم للرسول (ص) من داخل المدينة ان يقوض امكانيات المسلمين الدفاعية ويرغمهم على الاستسلام ، لذا فقد توجه حيي بن أخطب زعيم بني النضير الى كعب بن اسد القرظي ، زعيم بني قريظة ، وأخذ يفاوضه من أجل اقناعه بنقض العهد الذي يربط

بني قريظة بالمسلمين . وتشير المصادر التاريخية الى ان زعيم بني قريظة قد أبدى تحفظات شديدة في البداية،إلا انه مال في النهاية الى قبول فكرة نقض العهد بعد ان اكد له حيي بن إخطب ان نتيجة المعركة ستكون لصالحهم بسبب تفوق الاحزاب في العدد والعدة ، وهكذا انضم يهود بني قريظة الى الاحزاب وتنكروا لعهودهم ومواثيقهم مع الرسول (ص) في أشد الظروف حراجة بالنسبة للمسلمين[١٣٣] .

وحين تأكد الرسول (ص) من نقض بني قريظة لعهدهم حاول كتمان الخبر كي لا يؤثر ذلك في الحالة المعنوية للمسلمين ، ثم أخذ يعمل من اجل كسب الوقت وتفريق خصومه ، فعرض على بني غطفان ان ينسحبوا من الاحزاب على ان يعطيهم مقابل ذلك ثلث ثمار المدينة ، كما طلب من نعيم ابن مسعود من بني غطفان الذي دخل في الاسلام سراً ان يستخدم علاقاته الطيبة مع يهود بني قريظة والمشركين لاشاعة عدم الثقة بينهم والانقسام . وفعلاً ، فقد تمكن نعيم من اداء مهمته بشكل جيد مما أدى الى توقف التعاون والتنسيق بين بني قريظة وقادة غزوة الاحزاب[١٣٤] ...

وبذلك نجح الرسول (ص) في كسب الوقت ، وتغذية روح الصمود في نفوس المقاتلين في ظل اشد الظروف قسوة وحراجة في تاريخ الدعوة الاسلامية ، حتى دب اليأس في نفوس قوات الاحزاب المهاجمة ، ثم قررت الانسحاب والعودة الى ديارها .

عند ذلك وجد الرسول (ص) ان الوقت قد حان لمعاقبة يهود بني قريظة على غدرهم وتنكرهم للمواثيق التي كانت

تربطهم بالمسلمين فأمر « مؤذناً ، فأذن في الناس ، من كان سامعاً مطيعاً ، فلا يصلين العصر الا ببني قريظة »[١٣٥] . وهكذا فقد توجه المسلمون الذين كانوا يدافعون عن المدينة فور انسحاب الاحزاب الى محاصرة حصن بني قريظة ، وكان ذلك في شهر ذي القعدة في السنة الخامسة للهجرة[١٣٦] .

وقد استمر حصار المسلمين لبني قريظة خمساً وعشرين ليلة كما يقول ابن اسحاق دون ان يصدر عنهم ما يدل على وجود نية او عزيمة للقتال ، بل ان الروايات التاريخية تؤكد انهم كانوا مترددين وخائفين لا يعرفون ما يصنعون[١٣٧] ، وقد حاولوا اقناع الرسول (ص) بأن يعاملهم كما عامل يهود بني قينقاع او يهود بني النضير ، غير ان الرسول (ص) أصر على ان يستسلموا دون قيد أو شرط . وأخيراً وافقوا على الاستسلام على ان يحكم في مصيرهم سعد بن معاذ من زعماء الاوس الذي تربطه بهم علاقات تحالف قديمة فوافق الرسول (ص) على طلبهم ، وترك لسعد بن معاذ ان يحكم فيهم[١٣٨] . وقد حاول اليهود وكذلك بعض المسلمين من قبيلة الاوس استعطاف سعد بن معاذ ، والتأثير فيه للحكم عليهم حكماً مخففاً ، غير ان سعد الذي كان يعاني من جرح قاتل أصابه في معركة الخندق والذي كان ناقماً على يهود بني قريظة نظراً لغدرهم وسوء استقبالهم له حينما حاول اقناعهم بالمحافظة على عهدهم مع الرسول (ص) . أجابهم بقوله : « قد آن لسعد الا تأخذه في الله لومة لائم » ، ثم قال : « بأني أحكم فيهم ان تقتل الرجال ، وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء »[١٣٩] .

وعلى الرغم من ان جميع مصادرنا القديمة تؤكد ان الرسول (ص) قد نفذ هذا الحكم في يهود بني قريظة عقوبة لهم على غدرهم[١٤٠] ، الا ان هنالك من الباحثين المعاصرين من يشككون في ذلك لجملة من الاسباب نورد في ادناه ما ورد فيها[١٤١] : ـ

١ ـ ان قتل جميع رجال بني قريظة الذين يتراوح عددهم بين الستمائة والسبعمائة[١٤٢] ، بعد ان القوا السلاح واعلنوا الاستسلام لا ينسجم مع سياسة الرسول (ص) التي مارسها ضد خصومه سواء أكانوا من المشركين ام اليهود .

٢ ـ لقد حدد القرآن الكريم اسلوب معاملة الاسرى بقوله : « فإما مناً بعد وإما فداء »[١٤٣] أي ان الاسير يعامل إما باطلاق سراحه من دون مقابل أو يطلق سراحه مقابل فدية ، ولم يرد في القرآن نص يجيز قتل الاسرى .

٣ ـ قد يقال ان رجال بني قريظة ليسوا مجرد اسرى ، بل إنهم مجرمو حرب ، لانهم نقضوا عهدهم مع الرسول (ص) وهو يخوض حرباً مصيرية ، وحاولوا طعنه من الخلف . والحقيقة ، ان هذا الرأي صحيح بالنسبة لزعمائهم وذوي الرأي منهم . اما عامتهم فهم مجرد تبع لأسيادهم في اوقات السلم والحرب . لذا فإن بالامكان القول ان الرسول (ص) قد قتل زعماء بني قريظة باعتبارهم مجرمي حرب ، وعفا أو أخذ الفدية من الباقين وحسب ظروف كل حالة . وربما كان مما يؤيد هذا الرأي ما ورد في القرآن الكريم في وصف قتال

المسلمين لبني قريظة : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً »[١٤٤] .

ان القراءة المتمعنة لهذه الآيات توصلنا الى ان المسلمين قد قتلوا فريقاً من اليهود ـ ربما في اثناء الحرب ، وأسروا الفريق الآخر ، ثم أجلوهم عن ديارهم بعد أخذ الفدية منهم ، كما فعلوا مع بقية اليهود .

وهنا قد يثار تساؤل عن الكيفية التي دخلت فيها المعلومات عن قتل الرسول (ص) لجميع رجال بني قريظة في كتب التاريخ الاسلامي . ويرد الدكتور وليد عرفات على ذلك بقوله ان اقدم مصدر وردت فيه هذه الاخبار هو ابن اسحاق ، ويعترف ابن اسحاق نفسه انه قد اخذ تفاصيل اخباره من مصادر مختلفة « وأهم مصادره محمد بن كعب القرظي وعطية القرظي وهما من اسماء اليهود الذين اسلموا . ومن المعروف ان هؤلاء أدخلوا الكثير في السيرة ، ومثل هذه القصص لا تدل على حسن النية ، او انها تدل على ميل لتفخيم اجدادهم وتضخيم أعمالهم .. »[١٤٥] ، لذا كان ابن اسحاق موضع نقد شديد من الامام مالك حيث يذكر ابن حجر انه كان « ينكر عليه تتبعه غزوات النبي (ص) من اولاد اليهود الذين اسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير وما أشبه ذلك من غرائب أسلافهم »[١٤٦] .

ومهما يكن من أمر ، فقد أدى فشل الاحزاب في غزو

المدينة وانتصار المسلمين على بني قريظة الى تصفية النفوذ اليهودي فيها ؛ حيث لم تعد فيها اية تكتلات قبلية ـ يهودية ، وان لم تخل من بعض اليهود الذين استمروا في العيش فيها كما سنلاحظ ذلك لاحقا ، وبذلك اصبحت الكلمة الاولى والاخيرة في المدينة للاسلام والمسلمين ، ومن ثم ، فقد أصبح بإمكان الرسول (ص) ان يتطلع الى خارج المدينة من أجل نشر السيادة الاسلامية وتحقيق وحدة العرب في إطار الرسالة الجديدة .

٤ ـ الصراع مع يهود خيبر : ـ

اثبتت غزوة الخندق مدى خطورة الدور الذي قام به يهود بني النضير المقيمين في خيبر في تحزيب الاحزاب وتكتيل القوى المعادية للدعوة الاسلامية . وتشير الاخبار الى ان يهود خيبر قد اخذوا يفكرون جدياً باعداد حملة عسكرية لمهاجمة المدينة انتقاماً لما اصاب يهود بني قريظة على يد المسلمين ، فقد ذكر الواقدي ان يهود خيبر اجتمعوا للتشاور فيما ينبغي عليهم عمله لمواجهة الرسول (ص) ، فقال لهم سلام بن مشكم ان الرأي الصحيح هو ان « نسير اليه بمن معنا من يهود خيبر ، فلهم عدد ، ونستجلب يهود تيماء ، وفدك ، ووادي القرى ، ولا نستعين بأحد من العرب ، فقد رأيتم في غزوة الخندق ما صنعت بكم العرب ـ يقصد قبيلة غطفان ـ بعد ان شرطتم لهم تمر خيبر ، نقضوا ذلك وخذلوكم وطلبوا من محمد بعض تمر الاوس والخزرج وينصرفون عنه »[١٤٧] . وقد لاقى هذا الرأي قبولاً حسناً عند اليهود لولا ان تصدى لمعارضته كنانة بن

الربيع بن ابي الحقيق ، احد زعماء اليهود ، بقوله : « إني قد خبرت العرب ، فرأيتهم اسداء عليه ، وحصوننا هذه ليست مثل ما هناك ، ومحمد لا يسير الينا أبداً لما يعرف »[١٤٨] .

ويلاحظ انه على الرغم من ان هذه المناقشات لم تسفر عن قرار بتنظيم حملة عسكرية لمهاجمة المدينة ، الا ان احتمالات حصول ذلك بقيت قائمة . كما ان احتمال مبادرة يهود خيبر والنضير للاسهام في اي جهد معاد للمسلمين كان قائماً وقوياً ، لذا فقد غدت خيبر بعد معركة الخندق ومعاقبة بني قريظة هي العدو الاول لدولة المدينة بوصفها مركزاً لتجمع القوى الحاقدة والمحرضة على حرب الرسول (ص) والدعوة الاسلامية ، في الوقت الذي تراجعت فيه مكة الى المركز الثاني نتيجة للهزائم والاخفاقات المتلاحقة التي اصابتها نتيجة لحروبها مع دولة المدينة ، لذلك فقد غدا من الواجب توجيه كافة الجهود السياسية والعسكرية نحو تصفية الوجود العسكري لخيبر ، واخضاعها لسلطة الدولة العربية الاسلامية[١٤٩] .

ومن اجل تحقيق هذا الهدف ، فقد سعى الرسول (ص) نحو عقد صلح الحديبية مع قبيلة قريش ، من أجل ان يضمن بقاءها على الحياد في حالة توجهه لمحاربة خيبر . وكان ذلك امراً ضرورياً لان من شأن تعاون قريش وخيبر ان يضع قوات المسلمين في موقف حرج لان المدينة تقع على الطريق بين مكة وخيبر ، فضلا عن ان قوة خيبر العسكرية وامكاناتها الدفاعية كانت عالية مما يتطلب عزلها عن حلفائها لتوفير امكانيات الانتصار عليها في حالة الحرب .

في ضوء ما تقدم ، فإنه ما كاد يمضي سوى شهر على عودة الرسول (ص) الى المدينة إثر توقيعه صلح الحديبية مع

قريش ، حتى طلب من المسلمين الذين رافقوه في حملته على مكة ، وكان عددهم حوالي الف واربعمائة مقاتل ، ان يستعدوا للحملة الجديدة التي تستهدف إخضاع يهود خيبر . وكان ذلك في شهر محرم من السنة السابعة للهجرة على ارجح الروايات[١٥٠] .

وقد حرص الرسول (ص) على الا يصحب معه في هذه الحملة الا من كان راغبا في الجهاد ، متطلعاً الى الشهادة نظراً لصعوبة المهمة التي كانت تنتظر الجيش في هذه الغزوة ، لذا فقد اعتذر الرسول (ص) عن قبول انضمام الاعراب الذين تخلفوا عن الالتحاق في غزوة الحديبية الى هذه الحملة طمعاً في المغنم وقال لهم : « لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد »[١٥١] .

وحين علم يهود المدينة بخبر هذه الحملة شعروا بالقلق على مصير اليهود في خيبر وأخذوا يعملون على تخذيل المسلمين وتخويفهم مما ينتظرهم عند محاربتهم لخيبر . فقد ذكر الواقدي انه لما « تجهز الناس الى خيبر ، شق ذلك على يهود المدينة الذين هم موادعون لرسول الله (ص) ، وعرفوا انهم اذا دخلوا خيبر اهلك الله خيبر كما اهلك بني قينقاع والنضير وقريظة »[١٥٢] ، ومن ثم فقد انطلقوا يتعجلون ما لهم من ديون في ذمة المسلمين « فلم يبق احد من يهود المدينة له على احد المسلمين حق الا لزمه »[١٥٣] . وربما كان مما يوضح دوافع تحرك اليهود في هذا المجال ان ننقل جانباً من الحوار الذي دار بين احد اليهود ويدعى ابو الشحم وبين احد المسلمين الذي كان مديناً لهذا اليهودي بخمسة دراهم ثمن شعير كان قد ابتاعه لأهله ، فطلب منه المسلم ان يؤجل مطالبته بسداد الدين حتى يعود من غزوة خيبر . فقال ابو الشحم : « تحسب ان قتال

خيبر مثل ما تلقونه من الاعراب ؟ فيها - والتوراة - عشرة آلاف مقاتل ! قال ابن أبي حدرد - المسلم - اي عدو الله ! تخوفنا بعدونا وانت في ذمتنا وجوارنا ؟ والله لأرفعنك الى رسول الله (ص) .. »[١٥٤] .

وقد عمل يهود المدينة على إحاطة يهود خيبر بأخبار تحركات المسلمين واستعدادهم للتوجه الى خيبر . فقد ذكر الواقدي ان المسلمين القوا القبض على احد عيون يهود خيبر قبل وصولهم اليها وعند استجوابه عما لديه من معلومات اخبرهم ان « القوم مرعوبون منكم خائفون ، وجلون ، لما قد صنعتم بمن كان بيثرب من اليهود ، وان يهود يثرب بعثوا ابن عم لي وجدوه بالمدينة ، قد قدم بسلعة يبيعها ، فبعثوه الى كنانة بن ابي الحقيق يخبرونه بقلتكم وقلة خيلكم وسلاحكم ، ويقولون له ، فاصدقوهم الضرب ينصرفوا عنكم »[١٥٥] .

لقد اتخذ يهود خيبر بعض الاجراءات الحربية لمواجهة قوات المسلمين استناداً الى المعلومات التي تجمعت لديهم . والتي يمكن تحديدها بالاجراءات الآتية : -

١ - اتفق يهود خيبر مع قبيلة غطفان البدوية المقيمة قربهم بأن تقوم بنصرتهم في الحرب ضد المسلمين على ان يدفعوا لها نصف محصولهم من التمر لذلك العام[١٥٦] . وكانت لغطفان قوة عسكرية تقدر بحوالي اربعة آلاف رجل[١٥٧] .

٢ - كلف اليهود احد الاعراب بأن يتوجه الى الطريق الذي يحتمل ان يمر فيه جيش المسلمين ليحصل لهم على معلومات عن مدى قوة المسلمين ، ثم يقوم باعطاء صورة مبالغ فيها عن قوة اليهود للمسلمين في حالة سؤالهم عن

خيبـر واحوالهـا من أجل إدخـال الخـوف والرعب في نفوسهم ، ولكن المسلمين تمكنوا من القاء القبض على هذا الاعرابي ، فاعترف لهم بحقيقة المهمة المكلف بها من قبل اليهود كما ذكرنا آنفاً ، واطلع المسلمـون على مدى الخوف الذي يعيشون في ظله .

٣ ـ نظم اليهود بعض الكتائب التي تقوم بحـراسة خيبـر ليلاً ، فكانوا يقومـون كل ليلة قبـل الفجر فيتلبسـون السلاح ويصفون الكتائب »[١٥٨] ، خشية ان يبـاغتهم الرسول (ص) بالهجوم .

وعلى الرغم من كل ما تقدم ، فقد كان الرسول (ص) حريصاً على ان يباغت خيبر بالهجـوم ، ويتغلب عليها بـأقل التضحيات الممكنة من خلال اتباعه الخطوات الآتية : ـ

١ ـ حاول الرسول (ص) ان يقطع المسافة الفاصلة بين المدينة وخيبر بسرعة قياسية من أجل مفاجأة خصومه بالهجوم ، وذلك لان اليهود كانوا يتوقعون سير الرسول (ص) بقـواته اليهم ـ كمـا اوضحنـا ـ الا انهم لم يكونوا يعلمون موعد هذا المسير ولا كيفيته[١٥٩] .

٢ ـ عمل الرسول (ص) على تقوية الروح المعنوية لجنوده من خلال اشعارهم بأنه على يقين بـأن النصر سيكون حليفهم ضد اعدائهم[١٦٠] .

٣ ـ كمـا سعى الرسول (ص) لاذكـاء روح الحماس في نفوس جنوده عن طريق حث عامر بن سنان ، وهو احد الشعراء الذين كانوا يرافقونه في هذه الحملة بأن ينشد احدى اراجيزه الحماسية[١٦١] .

٤ ـ وحينما وصلت قوات المسلمين مشارف خيبر دعا الرسول (ص) الدليلين اللذين اصطحبهما معه وقال لاحدهما : « امض امامنا حتى تأخذنا صدر الأودية حتى نأتي خيبر من بينها وبين الشام فأحول بينهم وبين حلفائهم من غطفان »[١٦٢] .

لقد كان هدف الرسول (ص) من هذه الخطوة هو ان يضع قواته بين خيبر وبين حلفائها من غطفان وغيرهم من القبائل اليهودية في الشمال كي يمنعهم من تقديم اية معونة الى خيبر اثناء المعركة ، وهو اجراء حكيم من الناحية التعبوية ، وأثبتت وقائع الحرب فيما بعد فوائده من حيث حرمان يهود خيبر من تلقي المساندة من قبل حلفائهم[١٦٣] .

٥ ـ تمكن الرسول (ص) من وصول خيبر ليلاً ، ونزل بين حصون خيبر وبساتين النخيل فيها دون ان يشعر اليهود بوصوله . وحين اصبح الصباح فوجىء اليهود بجيش المسلمين معسكراً امام حصونهم ، فأخذوا يتصايحون « محمد والخميس » اي محمد ومعه جيشه . عند ذلك بدأت المعركة بين الطرفين[١٦٤] .

خطط المعركة لكلا الطرفين : ـ

خطة اليهود : اعتمد اليهود اسلوب الدفاع في القتال مستفيدين من موقع مدينتهم المرتفع المحاط بسلسلة من الحصون المنيعة . وكانت هذه الحصون تمتاز بعدة مزايا منها : ـ

١ - ان هذه الحصون كانت حصوناً مركبة لكل منها اكثر من جدار « جدر دون جدر »[١٦٥] ، مما كان يتيح للمدافعين فرص الانتقال في الدفاع عن الحصن الواحد من جدار الى جدار آخر في حالة حصول اختراق في احد الجدران .

٢ - إن حصون خيبر كانت تتوزع على « ثلاث مناطق حربية ، منطقة الكتيبة ، ومنطقة الشق ، ومنطقة نطاة . وكل منطقة من هذه المناطق عبارة عن مجموعة من الحصون ، وكانت منطقة نطاة اقواها وأمنعها »[١٦٦] .

٣ - كانت حصون خيبر كبيرة وواسعة ، فقد كان في حصن الصعب بن معاذ وهو احد حصون النطاة خمسمائة مقاتل فضلاً عن تجهيزاتهم من الطعام والودك والماشية والمتاع »[١٦٧] .

٤ - لقد كانت حصون خيبر مجهزة بشكل جيد بكل مستلزمات الصمود لمدة طويلة في وجه الحصار من سلاح ومؤن غذائية وماء[١٦٨] .

في ضوء ما تقدم ، رسم اليهود خطتهم الدفاعية على اساس ان يتجمع المقاتلة في حصون نطاة للدفاع عن خيبر ، وان يضعوا الذخائر والمؤونة في حصن ناعم ، وان يجمعوا اموالهم وعيالهم في حصني الوطيح والسلالم[١٦٩] .

خطة المسلمين :- اعتمد الرسول (ص) في قتال خيبر مبدأ التعرض والهجوم على الخصم ، وقد كانت خطة الهجوم تسير في شعبتين :-

١ - توجهت الشعبة الاولى نحو غطفان حلفاء اليهود لمنعهم

من نجدة خيبر اثناء الهجوم .

٢ ـ وتتمركز الشعبة الثانية وهي الرئيسة حول حصون نطاة حيث يوجد الثقل الاساس لمقاتلة اليهود .

وتتلخص خطة الرسول (ص) في الاستيلاء على حصون خيبر بتوجيه القوة الاساسية لقواته لمهاجمة أحد الحصون في الوقت الذي يشاغل الحصون الاخرى بقوات صغيرة لمنعها من نجدة بعضها البعض اثناء القتال ، حتى اذا تم له تحقيق هدفه في الاستيلاء على الحصن وجه قواته الرئيسة الى حصن آخر . اما خطته في ادارة قواته اثناء المعركة فقد قسمها على اقسام حسب القبائل والبطون التي تنتمي اليها ، وجعل لكل قسم قائداً من أجل إذكاء روح المنافسة بين المحاربين اثناء القتال . وقد لوحظ « ان هذه الخطة تتفق مع احدث الخطط العسكرية الحديثة في قتال المدن والاحراش ، ولو ان الرسول قام بالقتال بأسلوب الكر والفر او بأسلوب الصفوف في مثل هذا الموقف لما كتب للمسلمين النصر على اليهود »[١٧٠] .

سير المعركة : ـ اعلن الرسول (ص) بدء الهجوم على خيبر بمجرد ان اكتشف اليهود عند الصباح وجود قواته امام حصونهم بقوله : « الله اكبر ، خربت خيبر ، إنا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »[١٧١] ثم وجه شعبة من قواته نحو غطفان لأدخال الرعب في قلوبهم لمنعهم من ارسال العون والمدد الى خيبر . وقد تمكنت القوة التي توجهت الى غطفان من إيهام هذه القبيلة بأن الهجوم الرئيسي متجه اليها ، وأن قوة من المسلمين توشك ان تهاجمهم وتأخذ اموالهم وأهليهم أسرى[١٧٢] فقد روي انهم : « سمعوا صائحاً يصيح لا يدرون من السماء او من الارض : يا معشر غطفان ، أهلكم أهلكم ، الغوث ،

الغوث بحيفاء - صيح ثلاثة - لا تربة ولا مال ، قال : فخرجت غطفان على الصعب والذلول »[١٧٣] ، وقد سيطر عليها الخوف والرعب الى اهلها منكفئة على نفسها ، وتاركة يهود خيبر يواجهون قوات المسلمين لوحدهم[١٧٤] .

اما الشعبة الرئيسة من الهجوم ، فقد قادها الرسول (ص) بنفسه من أجل فتح حصون نطاة التي تقع في مكان مرتفع بالنسبة لقوات المسلمين المهاجمة ، وقد تعرض المسلمون من جراء ذلك لنبال اليهود المصوبة اليهم بحيث بلغ عدد الجرحى من المسلمين في ذلك اليوم وحده خمسين جريحاً . لذلك أمر الرسول (ص) بتغيير موقع قواته بناءً على اقتراح الحباب بن المنذر بمجرد ان سترهم الليل بظلامه الى موقع آخر يدعى الرجيع[١٧٥] .

وقد استمر المسلمون في قتالهم ضد حصن ناعم وهو احد حصون نطاة الرئيسة سبعة ايام أخرى بعد انتقال قاعدتهم الرئيسة الى الرجيع ، حيث اتسم القتال في هذه الايام بالشدة والاستبسال من جانب الطرفين حتى تمكن المسلمون من فتح هذا الحصن بعد ان نجحوا في استثمار بعض المعلومات التي حصلوا عليها من احد الاسرى اليهود في القيام بهجوم حاسم على هذا الحصن[١٧٦] .

لذلك اضطر اليهود للانتقال الى حصن الصعب بن معاذ وكان من حصون اليهود المنيعة جدا ، وقد كدس فيه اليهود كميات كبيرة من الطعام والمؤونة ، فتوجه المسلمون بقواتهم الرئيسة نحو هذا الحصن وفرضوا عليه الحصار حتى تمكنوا من احتلاله . وهكذا تواصل قتال المسلمين لليهود من حصن الى حصن حتى ارغموهم بعد قتال دام حوالي الشهر الى طلب

الصلح[177] .

لقد وافق الرسول (ص) على ايقاف القتال والتفاوض مع زعيم يهود خيبر كنانة بن ابي الحقيق على شروط الصلح التي اعطت الرسول (ص) حق إجلاء يهود خيبر عن اراضيهم مقابل ضمان حياة المقاتلين وذويهم « فصالح رسول الله (ص) - يهود - على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة ، وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ويخلون بين رسول الله (ص) وبين ما كان لهم من مال او ارض »[178] .

وعلى الرغم من ان شروط الصلح آنفة الذكر قد اعطت الرسول (ص) حق إجلاء اليهود عن خيبر ، الا انه لم يستعمل هذا الحق ، وسمح لهم بالبقاء في اراضيهم واستثمار مزارعهم بأنفسهم على ان يقسم محصول هذه المزارع بينهم وبين المسلمين مناصفة وذلك لأنهم كانوا ذوي خبرة ودراية في زراعة اراضيهم ، فضلاً عن ان الرسول (ص) لم يشأ ان يشغل اصحابه عن الجهاد بالتفرغ لزراعة واستثمار هذه الاراضي البعيدة نسبياً عن المدينة[179] .

وهكذا فقد أدى انتصار المسلمين على اليهود في هذه المعركة الى تصفية الوجود العسكري والسياسي لمدينة خيبر ، وتحولها الى جزء من الدولة العربية الاسلامية الناشئة ، وبذلك تحول يهود خيبر الى مواطنين في الدولة الموحدة يعيشون في كنف وذمة المسلمين .

لقد حرص الرسول (ص) بعد انتصاره في خيبر على تجاوز الحزازات وعوامل النفرة والكراهية التي نشأت بين المسلمين واليهود نتيجة لموقف اليهود المعادي للدعوة الاسلامية

وما ترتب عليه من صراعات وحروب ، لذا فقد قرر ان يتزوج صفية بنت حيي ، وهي ابنة زعيم بني النضير الذي سبق ان عاقبه الرسول (ص) بالقتل عقاباً له على دوره في تحريض بني قريظة على نقض العهود كما أوضحنا سابقاً ، وهي كذلك زوجة كنانة بن الربيع احد زعماء خيبر الذي قتل عقاباً له على عدم تعاونه مع المسلمين بعد انتصار المسلمين في خيبر وإخفاء بعض المعلومات عنهم . فقد أورد الواقدي رواية عن صفية انها حين اخذت اسيرة في غزوة خيبر قدمت الى الرسول (ص) وهي مقنعة حيية فجلست بين يديه فقال لها : « إن أقمت على دينك لم اكرهك ، وإن اخترت الله ورسوله فهو خير لك ، قالت اختار الله ورسوله والاسلام » فأعتقها رسول الله (ص) من رق الاسر وتزوجها . وتشير الروايات الى انه كان يعاملها معاملة تتسم بمنتهى الرعاية والمودة مما كان يثير غيرة وحسد بقية زوجاته منها ، فلا غرابة ان اخلصت للرسول (ص) وبادلته وداً بود[١٨٠] .

ان زواج الرسول (ص) من صفية بنت حيي ورفعها الى مصاف « أمهات المؤمنين » له دلالات دينية وسياسية عميقة حيث انه يعبر عن مدى انسانية وسماحة الاسلام ويشير الى عظمة خلق الرسول الكريم (ص) بصفته نبياً ورجل دولة ، إذ انه برهن على قدرته على تجاوز كل ما خلفته ايام الصراع مع اليهود من مرارة وآلام في نفسه حين جعل من ابنة الد خصومه زوجة له ورفعها الى مصاف ام المؤمنين ليكون ذلك العمل رمزاً لسماحة الاسلام وعظمة النبي الكريم في التعامل مع الاعداء في ساعات القوة والانتصار .

إخضاع بقية التجمعات اليهودية : ـ

لقد فتح انتصار المسلمين في خيبر ، وحسن معاملة الرسول (ص) لأهلها الطريق امام بقية التجمعات اليهودية القريبة من خيبر او الواقعة شمال الجزيرة العربية لتعلن خضوعها لسلطة الرسول (ص) .وكان يهود فدك هم اول من اعلن الرغبة في مصالحة الرسول (ص) والخضوع لسلطته فقد قال ابن اسحاق ان الله قذف الرعب « في قلوب اهل فدك حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر فبعثوا الى رسول الله (ص) يصالحونه على النصف من فدك »[181] ، وبذلك وافق الرسول (ص) على اقرار يهود فدك في مزارعهم واموالهم على ان يدفعوا للمسلمين نصف حاصلاتهم الزراعية كل عام كما هو شأن يهود خيبر .

اما يهود وادي القرى ، فإنهم قد حاولوا مقاومة الرسول (ص) ورفضوا الخضوع له فأمر اصحابه بمحاصرتهم وقتالهم ، وبعد مناوشات بسيطة ادرك اليهود عدم قدرتهم على مقاومة المسلمين فأعلنوا الاستسلام ، فأقام الرسول (ص) اربعة ايام بينهم وصالحهم على ما صالح عليه يهود خيبر وفدك ، إذ ترك النخل والارض بأيديهم على ان يدفعوا في نهاية كل عام نصف حاصلاتها الى المسلمين[182] .

وحين سمع يهود تيماء بأخبار انتصارات المسلمين وحسن معاملتهم « صالحوا رسول الله (ص) على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم »[183] دون ان يتعرض لهم احد بسوء .

وبذلك انتهت فصول الصراع المسلح بين المسلمين

واليهود في شبه الجزيرة العربية وتحول اليهود الى مواطنين في الدولة العربية الاسلامية الناشئة يتمتعون بحمايتها ورعايتها بوصفهم أهل كتاب . فهل اخلصوا لهذه الدولة ، وقدروا لها هذا الموقف ، ام حافظوا على روح العزلة والشك ومحاولة طعن العرب والمسلمين من الخلف ؟

ان صفحات التاريخ الطويلة تخبرنا ان روح السماحة التي طبعت اسلوب العرب في معاملة اليهود لم تفلح في ازالة عقد التاريخ وعوامل الشر من نفوس معظمهم ؛ حيث ظلوا يواصلون سلوك طريق الدس والتآمر ضد العرب والاسلام في السر او العلن حسب ظروف كل مرحلة . وما يجري على ارض فلسطين السليبة في الوقت الحاضر خير دليل على روح الشر والعنصرية والعدوان التي تسيطر على اليهود الصهاينة والقوى التي تؤيدهم وتتحالف معهم أياً كانت الاسماء التي تحملها او الواجهات التي تتستر من ورائها .

١ ـ فيدر ، نفتالي ، التاثيرات الاسلامية في العبادة اليهودية ، (ترجمة من الانكليزية د . محمد سالم الجرح) ، القاهرة ١٩٦٥ ص ١٠ .

٢ ـ المسيري ، د . عبدالوهاب محمد ، الايديولوجية الصهيونية ، الكويت ١٩٨٢ ، ج ١ ، ص ٣٨ ، ص ٤٥ .

٣ ـ المرجع نفسه ، ج ١ ص ٤٤ .

٤ ـ المرجع نفسه ، ج ١ ص ٤٦ .

٥ ـ المرجع نفسه ، ج ١ ص ٢٧٢ .

٦ ـ ابن هشام ، السيرة النبوية ، مصر ١٩٥٥ ، قسم ٢ ص ٤٧ ـ ٥٠ ، ١٩٠ ـ ١٩٢ ، ٢٣٣ ـ ٢٤٠ .

٧ ـ السمهودي ، وفاء الوفا ، بيروت ١٩٥٥ ، ج ١ ص ١٩٣ .

٨ ـ سورة الحشر : ١٤ .

٩ ـ سورة الحشر : ٢ .

١٠ ـ ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ص ٤٨ .

١١ ـ الواقدي ، المغازي ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ج ١ ص ٣٧٧ .

١٢ ـ ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ص ٢٤١ .

١٣ ـ البلاذري ، فتوح البلدان ، لبنان ١٩٧٨ ، ص ٢٩ ـ ٣٠ ، الملاح ، د . هاشم ، المنافقون في مدينة الرسول ، مجلة كلية الدراسات الاسلامية ، بغداد ، عدد ٥ ، ١٩٧٣ ، ص ٤٧١ ـ ٤٧٢ .

١٤ ـ الملاح ، د . هاشم ، المنافقون في مدينة الرسول ، ص ٤٧٢ .

١٥ ـ كرومان ، ادولف ، خيبر ، دائرة المعارف الاسلامية ، (الترجمة العربية) ، المجلد ٩ ، ص ٥٤ ـ ٥٦ .

١٦ ـ ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ، ص ١٩١ .

١٧ ـ محمود ، فتحي احمد ، موقف اليهود من الرسالة الاسلامية ، رسالة ماجستير اعدت تحت اشراف د . هاشم الملاح ، غير منشورة ، الموصل ١٩٧٨ ص ٢٩ ـ ٣٢ .

١٨ ـ الواقدي ، المغازي ، ج ٢ ، ص ٦٥٨ ـ ٦٧٠ ، الشريف ، احمد ابراهيم ، الدولة الاسلامية الاولى ، مصر ١٩٦٥ ، ص ٢١٩ .

١٩ ـ الواقدي ، المغازي ، ج ٢ ، ص ٦٣٧ .

٢٠ ـ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٤٢ .

٢١ - ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ، ص ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، محمود ، موقف اليهود من الدعوة الاسلامية ص ١٣ - ١٤ ، ٣٣ - ٣٥ .

٢٢ - اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، بيروت ١٩٦٠ ، ج ٢ ص ٤٩ - ٥٢ .

٢٣ - محمود ، موقف اليهود من الدعوة الاسلامية ، ص٧ .

٢٤ - وات ، مونتغمري ، محمد في مكه ، ص ٧ .

٢٥ - محمود ، موقف اليهود من الدعوة الاسلامية ، ص ٧ .

٢٦ - السمهودي ، وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ١٥٧ - ١٦٥ .

٢٧ - طنطلوي ، د . محمد سيد ، بنو اسرائيل في القرآن والسنة ، القاهرة ١٩٦٨ ، ج ١ ، ص ٧٣ - ٧٤ .

٢٨ - الاصفهاني ، الاغاني ، مصر ١٩٧٣ ، ج ٣ ، ص ١١٦ ، محمود ، موقف اليهود من الدعوة الاسلامية ، ص ٧ .

٢٩ - طنطلوي ، بنو اسرائيل في القرآن والسنة ، ج ١ ص ٧٥ ، راجع ايضاً القرآن الكريم ، سورة البقرة آية ٤٠ - ٥١ ، سورة المائدة آية ٧٨ - ٧٩ .

٣٠ - علي ، د . جواد ، تاريخ العرب في الاسلام ، بغداد ١٩٦١ ، ص ١٤٠ .

٣١ - ابن هشام ، السيرة ، قسم ١ ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

٣٢ - المصدر نفسه ، قسم ٢ ص ١٥ .

٣٣ - السمهودي ، وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .

٣٤ - ابن هشام ، المصدر السابق ، قسم ٢ ، ص ٥٣٠ .

٣٥ - سورة البقرة آية ٧٨ .

٣٦ - سورة البقرة آية ٧٩ .

٣٧ - ابن هشام ، السيرة ، قسم ١ ص ٥١٤ - ٥١٦ .

٣٨ - سورة البقرة آية ٢٦ - ١٠١ .

٣٩ - ابن هشام ، المصدر السابق قسم ١ ص ٥١٤ - ٥١٥ .

٤٠ - ابن هشام ، السيرة ، قسم ١ ص ٥٥٨ - ٥٥٩ .

٤١ - المصدر نفسه ، قسم ١ ص ٥٦٤ .

٤٢ - سورة البقرة وسورة المائدة ، طنطلوي ، بنو اسرائيل في القرآن والسنة ، ج ٢ ص ٣ - ٢٨٦ .

٤٣ - محمود ، موقف اليهود من الدعوة الاسلامية ص ٦٨ .
٤٤ - المرجع نفسه ، ص ٥٩ - ٦٠ .
٤٥ - المرجع نفسه ، ص ٦٩ .
٤٦ - المرجع نفسه ، ص ٧٢ - ٧٩ .
٤٧ - سورة المائدة آية ٤٢ - ٤٤ .
٤٨ - المسيري ، الايديولوجية الصهيونية ج ١ ، ص ٣٨ ، ٤٥ .
٤٩ - سورة المائدة آية ٤٥ .
٥٠ - محمود ، موقف اليهود من الدعوة الاسلامية ص ٦٥ .
٥١ - ابن هشام ، السيرة ، قسم ١ ص ٥٦٤ - ٥٦٦ .
٥٢ - سورة آل عمران آية ٦٥ .
٥٣ - ابن هشام ، المصدر السابق ، قسم ١ ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .
٥٤ - دروزه ، محمد عزة ، سيرة الرسول ، القاهرة ١٩٤٨ ، ج ١ ص ٢٩٧ - ٣١٠ ، العلي ، د . صالح ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص ٢٨٨ - ٢٩٠ .
٥٥ - راجع على سبيل المثال سورة ابراهيم ، سورة طه ، سورة الانبياء ، سورة الشعراء ، سورة يوسف .
٥٦ - سورة الاعلى آية ١٨ - ١٩ .
٥٧ - سورة فاطر آية ٣١ .
٥٨ - سورة الاعراف آية ١٥٧ .
٥٩ - ابن هشام ، السيرة ، قسم ١ ص ٥١٣ - ٥١٨ .
٦٠ - المصدر نفسه ، قسم ١ ، ص ٣٠٠ - ٣٠٨ .
٦١ - سورة الاحقاف آية ١٠ .
٦٢ - سورة الشعراء آية ١٩٢ - ١٩٩ .
٦٣ - ابن هشام ، السيرة ، (مطبوعة بهامش كتاب الروض الانف) ، مصر ١٩١٤ ، ج ١ ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .
٦٤ - المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .
٦٥ - المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٦٧ - ٢٧٧ .
٦٦ - الملاح ، المنافقون في مدينة الرسول ، ص ٤٨٠ - ٤٨٥ .
٦٧ - ابن هشام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٨ .

٦٨ - المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .
٦٩ - المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٨ .
٧٠ - السهيلي ، الروض الانف ، ج ٢ ، ص ١٨ .
٧١ - ابن هشام ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦ - ١٨ .
٧١ - مكرر ابن هشام ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦ .
٧٢ - المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٣ .
٧٢ - مكرر ابن هشام ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٤ .
٧٣ - سورة المائدة ، آية ٨٠ - ٨١ ، سورة النساء آية ٥١ - ٥٢ .
٧٤ - سورة الحشر ، آية ١١ - ١٢ .
٧٥ - لمزيد من التفصيل يمكن مراجعة بحثنا : المنافقون في مدينة الرسول ص ٤٦٩ - ٥٠٨ .
٧٦ - ابن هشام ، السيرة ، قسم ١ ، ص ٥٦٨ .
٧٧ - سورة المائدة آية ٥٧ - ٥٨ .
٧٨ - سورة المائدة آية ٦١ .
٧٩ - سورة آل عمران آية ٧٢ .
٨٠ - سورة البقرة آية ٨٩ .
٨١ - سورة البقرة آية ٩٠ - ٩١ .
٨٢ - سورة آل عمران آية ٦٦ - ٦٩ .
٨٣ - سورة البقرة آية ١٢٤ - ١٣٠ ، سورة الحج آية ٧٨ .
٨٤ - سورة ابراهيم آية ٢٧ .
٨٥ - سورة البقرة آية ١٣٥ ، سورة الانعام آية ١٦١ ، سورة النحل آية ١٢٣ .
٨٦ - سورة آل عمران آية ٦٧ - ٦٨ .
٨٧ - سورة النساء آية ١٥٥ .
٨٨ - سورة المائدة آية ٤٨ .
٨٩ - ابن هشام ، السيرة ، قسم ١ ص ٥٥٠ .
٩٠ - سورة البقرة آية ١٤٢ - ١٤٥ .
٩١ - ابن هشام ، السيرة ، قسم ١ ص ٥٠٨ .
٩٢ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ، ص ٧ ، ابن القيم ، زاد المعاد ، القاهرة ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

٩٣ـ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، مصر ، ١٩٦٧ ، ج ١ ، ص ٤١٧ .

٩٤ـ ابن هشام ، السيرة ، قسم ١ ، ص ٤٣٨ ـ ٤٤٠ ، وات ، محمد في المدينة ، ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩ .

٩٥ـ ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ، ص ٣٠٨ ـ ٣٢١ .

٩٦ـ المصدر نفسه ، قسم ٢ ، ص ٤١٢ ـ ٤١٧ ، ٥٤٣ ـ ٥٤٥ .

٩٧ـ وات ، محمد في المدينة ، ص ٣٣٠ .

٩٨ـ المرجع نفسه ، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ .

٩٩ـ الطبري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٧٩ ، الواقدي ، المغازي ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

١٠٠ـ ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ص ٤٧ .

١٠١ـ المصدر نفسه ، قسم ٢ ص ٤٨ .

١٠٢ـ المغازي ، ج ١ ص ١٧٧ .

١٠٣ـ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٨ .

* الدارع ، هو المقاتل الذي عليه درع . اما الحاسر فهو الذي يقاتل من غير درع .

١٠٤ـ ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ، ص ٤٨ .

١٠٥ـ الواقدي ، المغازي ج ١ ، ص ١٧٨ .

١٠٦ـ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٨ .

١٠٧ـ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

١٠٨ـ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ ، ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

١٠٩ـ محمود ، موقف اليهود من الدعوة الاسلامية ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .

١١٠ـ الواقدي ، المغازي ، ج ١ ، ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

١١١ـ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

١١٢ـ ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ص ٥٤ .

١١٣ـ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

١١٤ـ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٢ .

١١٥ـ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

١١٦ـ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣١٧ ـ ٣١٨ .

١١٧ـ Kister, Notes on the popyrun text about Muhammad's

Compaign against the Banu al-Nadir, J. Archiv Orientall, London, 1964, Vol. 32, P. 235.

١١٨ - ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ، ص ٦٣ - ٦٤ .

١١٩ - الواقدي ، المغازي ، ج ١ ، ص ٣٦٤ .

١٢٠ - المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

١٢١ - المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٦٧ .

١٢٢ - المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٦٩ .

١٢٣ - ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ، ص ١٩١ .

١٢٤ - المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٦٨ .

١٢٥ - المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٧٠ .

١٢٦ - المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٦٣ .

١٢٧ - ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ، ص ١٩١ ، الواقدي ، المغازي ، ج ١ ، ص ٣٧٣ .

١٢٨ - المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧٣ .

١٢٩ - المغازي ، ج ١ ، ص ٣٧٧ .

١٣٠ - سورة الحشر آية ٦ - ٨ . القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، القاهرة ١٩٤٩ ، ج ١٨ ، ص ١٣ ، ١٦ - ١٩ .

١٣١ - ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ، ص ٢١٤ - ٢١٥ ، ٢١٩ - ٢٢٠ .

١٣٢ - المصدر نفسه ، قسم ٢ ، ص ٢١٦ - ٢٢٠ .

١٣٣ - المصدر نفسه ، قسم ٢ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

١٣٤ - المصدر نفسه ، قسم ٢ ، ص ٢٢١ - ٢٢٣ ، ص ٢٢٩ - ٢٣١ .

١٣٥ - المصدر نفسه ، قسم ٢ ، ص ٢٣٤ .

١٣٦ - المصدر نفسه ، قسم ٢ ، ص ٢٣٣ .

١٣٧ - المصدر نفسه ، قسم ٢ ، ص ٢٣٥ .

١٣٨ - المصدر نفسه ، قسم ٢ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٩ .

١٣٩ - المصدر نفسه ، قسم ٢ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

١٤٠ - المصدر نفسه ، قسم ٢ ، ص ٢٤٠ .

١٤١ - عرفات ، د . وليد ، ضوء جديد على قصة بني قريظة ويهود المدينة ، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ ، بغداد ١٩٧٣ ، ص ٧٨٧ - ٧٩٢ ، محمود ، موقف اليهود من الدعوة الاسلامية ،

ص ٢٣٤ ـ ٢٣٨ .

١٤٢ ـ ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ، ص ٢٤١ .

١٤٣ ـ سورة محمد آية ٤ .

١٤٤ ـ سورة الاحزاب آية ٢٦ ـ ٢٧ .

١٤٥ ـ ضوء جديد على قصة بني قريظة ، ص ٧٩١ .

١٤٦ ـ المرجع نفسه ، ص ٧٩١ .

١٤٧ ـ المغازي ، ج ٢ ، ص ٥٣٠ .

١٤٨ ـ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٣١ .

١٤٩ ـ لمزيد من التفصيل يراجع بحثنا الابعاد العسكرية والسياسية لمعارك تحرير خيبر ، مجلة المؤرخ العربي ، عدد ٣٤ سنة ١٩٨٧ ، ص ١٣٦ ، وما بعدها .

١٥٠ ـ ابن القيم ، زاد المعاد ، ج ٢ ، ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

١٥١ ـ الواقدي ، المغازي ، ج ٢ ، ص ٦٣٤ .

١٥٢ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٣٤ .

١٥٣ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٣٤ .

١٥٤ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٣٤ ـ ٦٣٥ .

١٥٥ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٤١ .

١٥٦ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٤٢ .

١٥٧ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٥٠ .

١٥٨ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٤٢ .

١٥٩ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٣٧ .

١٦٠ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٣٦ ، سورة الفتح ، آية ١٨ ـ ١٩ .

١٦١ ـ الواقدي ، المغازي ، ج ٢ ، ص ٦٣٨ .

١٦٢ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٣٩ .

١٦٣ ـ خطاب ، محمود شيت ، الرسول القائد ، بغداد ١٩٥٨ ، ص ٢٠٤ .

١٦٤ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٤٢ ـ ٦٤٣ .

١٦٥ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٦٣ .

١٦٦ ـ الشريف ، الدولة الإسلامية الاولى ، ص ٢١٩ .

١٦٧ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٥٨ .

١٦٨ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٦٦ ـ ٦٦٧ .

١٦٩ ـ الشريف ، الدولة الاسلامية الاولى ، ص ٢١٩ .

١٧٠ ـ خطاب ، الرسول القائد ، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

١٧١ ـ الواقدي ، المغازي ، ج ٢ ، ص ٦٤٣ .

١٧٢ ـ فرج ، محمد ، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ، مصر ١٩٥٨ ، ص ١٩٥ .

١٧٣ ـ الواقدي ، المغازي ، ج ٢ ، ص ٦٥١ .

١٧٤ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٥١ ـ ٦٥٢ ، ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ، ص ٣٣٠ .

١٧٥ ـ الواقدي ، المغازي ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ ـ ٦٤٦ .

١٧٦ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٤٥ ـ ٦٤٧ .

١٧٧ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٤٧ ـ ٦٧٠ ، ابن سلام ، كتاب الاموال ، ص ١٦٥ .

١٧٨ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٧١ ، ابن سلام ، كتاب الاموال ، ص ١٦٥ .

١٧٩ ـ الواقدي ، المغازي ، ج ٢ ، ص ٦٩٠ .

١٨٠ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٧٥ ، ص ٧٠٩ .

١٨١ ـ ابن هشام ، السيرة ، قسم ٢ ، ص ٣٥٣ .

١٨٢ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٧١١ .

١٨٣ ـ المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٧١١ .

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ١٩٨٨

الغلاف : رياض عبد الكريم
السعر ٧٥٠ فلس

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة